ملف المستقبل
سري جداً!!
روايات مصرية للجيب
127
طريق النجوم
د. نبيل فاروق
Looloo
www.helmelarab.net

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ الزمن ..

دوى الانفجار قويًا عنيفًا ، فى قمة مبنى الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية المصرية ، وتطايرت الشظايا فى دائرة واسعة للغاية ، فى نفس اللحظة التى عبرت فيها مقاتلة فضائية سريعة السماء ، فوق المبنى مباشرة ، وهى تحمل شعارًا عجيبًا ، لاينتمى إلى أى تنظيم أو دولة أو كيان معروف ، على كوكب الأرض كله ..

ومن بعيد ، ظهرت أجسام مخيفة ، أشبه بعناكب معدنية عملاقة ، تشقّ طريقها إلى المكان نفسه ، بلا رحمة أو هوادة ، وهى تطأ كل ما يعترض طريقها ، من بشر أو مركبات ..

ووسط النيران المستعرة ، انطلق المقدّم (نور) يعدو بكل قوته ، حاملاً مدفعه الليزرى ، وإلى جواره زوجته (سلوى) ، التى تهتف فى ارتياع :

ـ لا فائدة يا (نور) .. لقد كشفوا أمرنا ، ونجحوا فى حصارنا هذه المرة .. لقد انتهى أمرنا .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فى صرامة :

- لا .. لن نستسلم بهذه البساطة .. سنقاتل حتى آخر قطرة دم .

انهارت ابنته (نشوى) ، وسقطت أرضًا ، هاتفة :

- لم يعد بإمكانى الاستمرار يا أبى .. سامحنى .

توقَّف (نور) ، وعاد إليها مسرعًا ، وهو يهتف :

- تحاملى على نفسك يا (نشوى) .. الأمل الوحيد فى نجاتنا ، ونجاة الأرض كلها ، هو أن نصل إلى الداخل .. لا تستسلمى الآن .

تفجّرت الدموع من عينيها كالسيل ، وهى تقول :

- لم يعد هذا بإمكانى .. لقد عدونا لعشرات الأميال ..

وانطلقت منها شهقة تبتر عبارتها ، قبل أن تتابع ، والدموع تنساب من عينيها بغزارة أكثر :

- ثم إننى لا أستطيع نسيان مشهد مصرع (رمزى) ، أمام أعيننا جميعًا .

عضّت (سلوى) شفتيها فى مرارة ، وانعقد حاجبا (نور) فى ألم ، وهو يعاون ابنته على النهوض ، قائلاً :

- إنها الحرب وويلاتها يا بنيتى .. وهؤلاء الغزاة

الفضائيون لن يتوقَّفوا ، قبل أن يفنوا جنسنا كله ، ولا ينبغى لنا أن نسمح لهم بهذا قط ، أو ..

دوى انفجار آخر ، ليبتر عبارته ، ويُسقط (سلوى) أرضًا ، وهى تطلق صرخة رعب عالية ، فتشبثت (نشوى) بأبيها ، صارخة :

- لا فائدة .

انحنى يحملها على كتفه فى حزم ، هاتفًا :

- مازال هناك أمل واحد .

صاحت (سلوى) ، وهى تعدو إلى جواره :

- أى أمل يا (نور) ؟! لقد حطموا كل شىء ، وقتلوا أكثر من ستة ملايين من البشر ، طبقًا لآخر الإحصائيات .. كيف يمكننا أن نتصدّى لهم ، بعد أن فشلت القوات الدولية كلها فى هذا ؟!

أجاب فى صرامة حازمة :

- بأن نبلغ آلة الزمن .

اتسعت عيناها فى ارتياع ، هاتفة :

- آلة الزمن ؟! ألم يتمّ تحطيمها تمامًا ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يعدو حاملاً ابنته ، عبر ممر طويل ، وقال :

- ليس تمامًا .. لقد تم الاحتفاظ بها فى مخبأ سرى خاص ، حتى يتم إجراء ما تبقى من أبحاث عليها ، فى حين حطم القائد الراحل نسخة غير فعّالة منها ، أمام عدسات الهولوفيزيون .

هتفت (سلوى) :

- رباه ! ولكن ما الذى يمكن أن يحدث لو بلغناها ؟!

أجاب حازمًا :

- مادامت لا توجد وسيلة معروفة ، لهزيمة أولئك الغزاة الفضائيين ، فالحل الوحيد هو أن نمنع وصولهم إلى أرضنا بأى ثمن .

سألته مبهورة :

- هل تعنى أن ؟!

أجاب بكل حزم الدنيا :

- نعم .. أعنى أن نعود إلى ماضينا ، بكل ما نعلمه عنهم حاليًا ، ونوقفهم بأى ثمن .. أى ثمن .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى دوى انفجار آخر ..

انفجار قريب ، حتى إنه دفع ثلاثتهم أمامه فى عنف ، ليسقطوا على وجوههم أرضًا ، فهتفت (نشوى) فى ألم :

- أتعشم أن تفلح خطتك يا أبى .. هؤلاء الأوغاد يستحقون كل ما يمكن أن تفعله بهم .

نهض يحاول حملها ثانية ، على الرغم من الآلام الشديدة ، التى تنتشر فى جسده كله ، فلوّحت بيدها ، هاتفة :

- لا .. سألحق بك .. انطلق أنت إلى آلة الزمن .. إنه الأمل الوحيد كما تقول .

هتف فى صرامة :

- لن أذهب وحدى .

صاحت به :

- بل افعل لو استطعت ، فلو نجحت فى منعهم ، سيتخذ التاريخ منحنى آخر ، نظلّ فيه على قيد الحياة ، أما لو فشلت ..

وازدردت لعابها ، قبل أن تضيف فى توتر :

- فما الفارق ؟!

كان منطقها سليمًا تمامًا ، إلا أن طبيعته كلها رفضت تركها خلفه ، فهتف :

- لا .. لن أذهب وحدى .

نهضت من مكانها فى صعوبة ، وتبعته ، قائلة :

ـ أين الآلة إذن ؟!
انحرف إلى ممر أصغر ، ثم توقف أمام جدار مصقول ، وهو يجيب :
ـ هنا .
قالها ، وألصق راحته بجزء من الجدار المصقول ، وهو يقول :
ـ الزمن الآخر .
ولم تكد أجهزة الأمن تلتقط بصمة صوته المسجلة ، وكلمة السر ، وبصمات راحته ، وتوزيع مسامه العرقية ، وتقارن كل هذا بما لديها ، حتى انزاح الجدار فجأة في بطء ، كاشفًا آلة الزمن خلفه ..
وفي نفس اللحظة ، التي بدت فيها الآلة كاملة ، دوى انفجار رابع ..
ومع الارتجاج العنيف ، وتطاير الشظايا ، تهاوت زاوية السقف ، وبدت معها السماء المظلمة في وضوح ، ومقاتلة فضائية من مقاتلات الغزاة تعبرها في زهو ظافر ..
وهتفت (نشوى) :
ـ رباه ! الآلة تحتاج إلى توجيه خارجي ، وهؤلاء الأوغاد لا يمهلوننا لحظة واحدة .

ولم يجب (نور) ، أو تعلق (سلوى) ..
لقد تعلقت عيونهم بالمقاتلة الفضائية المعادية ، وهي تدور دورة كاملة في السماء ، ثم تنقض عليهما مرة أخرى ..
وفي هذه المرة ، كان من الواضح أنها ستصيب هدفها بمنتهى الدقة ..
الهدف الذي صار عاريًا مكشوفًا ، بعد انهيار زاوية السقف ..
وبكل سرعتها وقوتها ، انطلقت المقاتلة نحو هدفها ، واستعد قائدها شبه البشري لإطلاق أشعته ، و ...
ودوى انفجار خامس ..
انفجار نسف المقاتلة الفضائية المعادية في عنف ، وأطاح بشظاياها لمسافة هائلة ..
وقبل أن يسأل (نور) و (سلوى) و (نشوى) أنفسهم عما حدث ، ارتفع من جهاز اتصال (نور) صوت مألوف ، يهتف :
ـ لا تتساءلوا طويلاً يا رفاق .. إنه أنا ..
هتفت (نشوى) :

- يا إلهى ! (أكرم) .

برزت مقاتلة فضائية معادية أخرى فى السماء ، وصوته يهتف ، عبر جهاز اتصال (نور) :

- لقد نجحت فى الاستيلاء على واحدة من مقاتلات هؤلاء الأوغاد ، وأنا أقودها الآن .. هيا يا (نور) .. نفذ خطتك المجنونة ، التى أخبرتنى بها هذا الصباح ، وسأحمى أنا ظهرك .. هيا يا رجل .

اندفع (نور) نحو آلة الزمن ، بكل انفعاله وحماسه ، فى نفس اللحظة التى ظهرت فيها مقاتلتان أخريان ، هاجمتا مقاتلة (أكرم) فى عنف شرس ..

أما (نشوى) ، فقد قفزت إلى آلات التوجيه الخارجية ، على الرغم من ألمها وإرهاقها ، وصاحت بأمها :

- أسرعى يا أمى .. الحقى بأبى .. ابذلا قصارى جهدكما ، من أجلنا جميعًا .

صاحت بها (سلوى) :

- لن أتركك وحدك .. الحقى بنا .. سنرحل معًا .

صاحت (نشوى) :

- هذا مستحيل ! لابد من بقاء أحدنا هنا ؛ لقيادة

آلات التوجيه ، وأنا خبيرة الكمبيوتر الوحيدة .. هيا .. أسرعى .. لا تمنحى غزاتنا الأوغاد فرصة إفساد كل ما فعلناه .. هيا .

صرخت (سلوى) :

- مستحيل !

ولكن (نور) جذبها داخل آلة الزمن ، وهو يهتف فى حزم :

- إنها على حق للأسف .. ما من سبيل آخر ؟!

صرخت ، وهى تقاومه فى شراسة :

- ماذا دهاك يا (نور) ؟! كيف نترك ابنتنا خلفنا ؟!

أجابها بكل مرارة الدنيا ، وهو يضغط أزرار جهاز التوجيه داخل آلة الزمن :

- إنها على حق للأسف يا (سلوى) .. هى وحدها يمكنها إطلاق آلة الزمن .. ثم إنه لا فارق .. إما أن تنجح وتنقذ الجميع ، أو ...

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع من جهاز اتصاله صوت (أكرم) ، وهو يصرخ :

- لقد حاصرونى يا (نور) .. الأوغاد الذين قتلوا (مشيرة) و (رمزى) و (محمود) سيظفرون بى أيضًا .

عضّ (نور) شفتيه فى ألم مرير ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين دفنت (سلوى) وجهها فى كفيها ، صارخة :

- لا .. مستحيل أن يكون هذا حقيقى .. إنه كابوس .. أبشع كابوس رأيناه ، فى حياتنا كلها .

انبعث صوت (أكرم) ، فى هذه اللحظة ، وهو يصرخ :

- إلى الجحيم جميعًا .

وعبر الزاوية المنهارة من السقف ، شاهد ثلاثتهم مقاتلة (أكرم) تندفع نحو مقاتلات الغزاة ، وهو يصرخ :

- افعلها يا (نور) .. افعلها .

ثم دوى انفجار جديد ..

انفجر ونسف مقاتلة (أكرم) ، مع ثلاث من مقاتلات الغزاة ..

ومع دوى الانفجار ، اشتعلت محركات آلة الزمن ..

وانطلقت أصابع (نشوى) بسرعة البرق ، على أزرار جهاز التوجيه الخارجى ...

وهوت شظايا الانفجار ..

وتحطمت أبواب مركز الأبحاث ، أمام تلك المركبات المخيفة ، الشبيهة بالعناكب العملاقة ..

وضغطت (نشوى) الأزرار الأخيرة ، وهى تهتف :

- ساعدهما يا إلهى ! ساعدهما من أجلنا جميعًا .

وارتفعت آلة الزمن عن الأرض ، و (سلوى) تصرخ :

- لا يا (نشوى) .. لا .

ولكن (نور) ضغط زر الانطلاق ، فى نفس اللحظة التى اقتحمت فيها العناكب المعدنية المخيفة المكان ..

وانطلقت آلة الزمن ..

وصرخت (سلوى) :

- لا .. لا ..

ثم دوت فرقعة مكتومة ..

وتلاشت آلة الزمن ..

وواصلت العناكب الآلية المخيفة طريقها ؛ لتحصد أمامها كل شىء ..

بلا استثناء ..

وبلا رحمة ..

* * *

كل شيء ارتجّ في عنف شديد ، مع انطلاق مركبة الزمن ..

كل شيء ..

وكل شخص ..

وبدوار عنيف ، لوّحت (سلوى) بيدها ، هاتفة :

- رباه ! (نور) ! هناك شيء ما .. تلك الانطلاقة .. إنها .. إنها ..

انقضّ عليها الدوار في عنف ، قبل أن تكمل عبارتها ، فتشبّثت به ، هاتفة :

- (نور) .

أسرع يتلقّاها بين ذراعيه ، وهي تهوى فاقدة الوعي ، وضمّها إلى صدره في حنان ملهوف جزع ، وهو يردّد :

- رباه ! كنت على حق يا (سلوى) .. إنه كابوس .. كابوس بشع .

وفي رفق شديد ، انحنى يُرقد جسدها على المقعد الوثير الواسع لآلة الزمن ، قبل أن يلتفت ليلقى نظرة على ما يحدث أمامه ..

شلال منهمر من مختلف ألوان الضوء ، ينساب نحو المركبة من كل صوب ..

نهر من الزمن ، يتدفّق بلا بداية أو نهاية ..

البداية ..

أول كلمة قفزت إلى ذهنه ، وهو يلقي جسده المكدود المجهد ، فوق المقعد الثاني ..

ويا لها من بداية ، تلك التي انتهت بهم إلى هذه المأساة الرهيبة ..

والعجيب أن تلك البداية كانت قريبة ..

قريبة للغاية ..

قبل أسبوع واحد فحسب ، كان كل شيء يسير على ما يرام ..

ولم يكن في الأفق ما يوحي بأية مشكلات أو توترات ..

فيما عدا ذلك الضجيج ..

ألقى نظرة مشفقة حزينة ، على زوجته الفاقدة الوعي ، وخيّل إليه أنه يشعر بذلك الضجيج العجيب ويسمعه في وضوح ، وذاكرته تعود به إلى الوراء ..

إلى البداية ..

الرهيبة .

* * *

٢ ـ ضجيج ..

السبت .. أول مايو ـ القرن الحادى والعشرون ..

لم يدر (نور) لماذا استيقظ بهذا الصداع ، فى السادسة صباحًا ، فقد استغرق فى نوم عميق لخمس ساعات كاملة ، ولم يكن يومه السابق عنيفًا أو مجهدًا ، بل على العكس تمامًا ، مضى تقليديًا هادئًا ، على نحو لم يسبق له مثيل ، منذ عام كامل على الأقل ..

كانت زوجته (سلوى) مستغرقة فى نومها ، لذا فقد نهض من الفراش فى حرص ، وراح يعدّ لنفسه قدحًا من الشاى ، وجلس يرتشفه فى بطء وهدوء ، فى شرفة منزله المطلّة على الحديقة ، و ...

وفجأة شعر بذلك الضجيج ..

صوت أشبه بمعركة حامية الوطيس ، تدور على مسافة عدة كيلومترات من مكانه ، ويرتفع صوتها إلى عنان السماء ..

والتقى حاجباه فى شدة ، وهو يدير عينيه فيما

حوله ، بحثًا عن مصدر ذلك الضجيج ، الذى بدا وكأنه ينبعث من كل مكان ..

ومن لا مكان ..

« ماذا يحدث هنا ؟! »

بدا صوت (سلوى) منزعجًا مذعورًا ، وهى تلقى سؤالها هذا ، فالتفت إليها ، ورآها تقف شاحبة ، عند مدخل الشرفة ، فأسرع يحتويها بين ذراعيه ، وهو يقول فى حنان متوتر :

ـ لست أدرى يا عزيزتى .. صدقينى .. لست أدرى .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف ، فامتدّت يده تضغط زره بحركة تلقائية ، وظهرت على الشاشة صورة (نشوى) ، وهى تهتف فى توتر بالغ :

ـ أبى .. هل شعرت بما حدث ؟!

انتبه فى تلك اللحظة فقط ، إلى أن ذلك الضجيج قد توقّف بغتة كما بدأ ، فغمغم :

ـ نعم .. لقد شعرنا به .

برز (رمزى) من خلفها ، وهو يهتف :

ـ ما هذا أيها القائد ؟!

وقبل أن يبحث (نور) فى عقله عن جواب ، اندفعت (سلوى) تقول :

- ذبذبة عالية أكثر من اللازم .

كان هذا يدخل ضمن تخصصها مباشرة ، مما جذب انتباه الجميع ، وجعل (رمزى) يسألها فى قلق :

- وما مصدرها ؟

هزت رأسها فى حيرة عصبية ، مجيبة :

- لست أدرى .

ارتجف صوت (نشوى) ، وهى تسأل :

- أهو مصدر أرضى ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، من سؤال ابنته ، وسرت فى جسده قشعريرة باردة كالثلج ، وهو يلتفت فى تساؤل قلق إلى زوجته ، وذهنه يستعيد ذكرى قديمة بغيضة ، لايرغب أى مخلوق أرضى فى استعادتها أبدًا .

ذكرى الاحتلال(*) ..

وعبر شاشة هاتف الفيديو ، تعلقت عيون (رمزى) و (نشوى) بشفتى (سلوى) ، التى ضمت جانبى معطفها المنزلى ، وهى تغمغم فى توتر لامحدود :

(*) راجع قصة (الاحتلال) ... المغامرة رقم (٧٦) .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة من سؤال ابنته ، وسرت فى جسده قشعريرة باردة كالثلج ، وهو يلتفت فى تساؤل قلق إلى زوجته ..

- أخشى أن ...

قبل أن تتمّ عبارتها ، تناهى إلى مسامع الجميع صرير إطارات سيارة قديمة ، توقفت بحدة أمام منزل (نور) ، قبل أن يقفز منها (أكرم) ، هاتفًا :

- (نور) .. هل سمعت هذا ؟!

أجابه (نور) فى اقتضاب :

- بالتأكيد .

ثم التفت إلى (سلوى) ، يسألها :

- ما الذى تخشينه بالضبط ؟!

ازدردت (سلوى) لعابها فى صعوبة ، وهى تقول فى خفوت :

- لا يمكننى الجزم بأنه مصدر أرضى .

اتسعت عينا (رمزى) ، وتراجعت (نشوى) ، وهى تطلق شهقة ، هاتفة :

- رباه !

أما (أكرم) ، فقال فى عصبية :

- ما هذا الذى لا يمكنك الجزم بأنه مصدر أرضى ؟! هل تتحدثين عن ذلك الضجيج العجيب ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، فهتف ، وهو يلوّح بذراعيه فى حدة :

- من أين أتى إذن ؟!

انفرجت شفتاها ، لتقول شيئًا ما ، إلا أن ساعة يد (نور) أطلقت فجأة أزيزًا قصيرًا ، توقّف على نحو حرج ، لتضىء الساعة نفسها مرتين ، فقال (نور) فى حزم :

- أعتقد أن هذا يحمل شيئًا من الجواب .

قالها ، واندفع إلى الداخل ؛ ليبدل ملابسه ، فهتف (أكرم) :

- أى جواب ؟!

هتف به (نور) من الداخل :

- احسبها أنت .. أمر غامض يحدث ، ثم يتمّ استدعائى إلى الإدارة بصورة عاجلة !! تُرى ما الذى يعنيه هذا فى رأيك ؟!

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يغمغم فى عصبية شديدة :

- آه .. فهمت .

كان رأسه يحمل ألف سؤال وسؤال ، يرغب فى إلقائها على (نور) ، إلا أنه - وعلى الرغم من هذا - لم ينبس ببنت شفة ، وهو يقلّ هذا الأخير ، فى سيارته القديمة ، إلى مبنى إدارة المخابرات العلمية ..

وما إن بلغا المكان ، حتى وثب (نور) من السيارة ، هاتفًا :

ـ هل ستنتظرنى ؟!

هزّ (أكرم) كتفيه ، قائلاً فى سخرية متوترة :

ـ ماذا تقترح ؟!

لوّح (نور) بيده ، وهو يعبر بوّابة الإدارة ، فتابع (أكرم) فى عصبية :

ـ لست أحد السادة ، المسموح لهم بدخول هذه الأماكن العظيمة .

لم يسمع (نور) العبارة ، وهو يجتاز إجراءات الأمن المعتادة ، قبل أن يستقلّ ذلك المصعد الزجاجى الأسطوانى ، الذى انبعث داخله ضوء بنفسجى هادئ ، مع صوت أنثوى آلىّ ناعم ، يقول :

ـ المقدّم (نور الدين محمود) .. القائد الأعلى والدكتور (جلال) فى انتظارك .. مرحبًا .

لم تمض دقيقة واحدة على هذا ، حتى كان (نور) يؤدى التحية العسكرية أمام القائد الأعلى ، الذى أشار إليه بالجلوس ، قائلاً :

ـ تفضّل يا (نور) .. أشكرك لحضورك بهذه السرعة .

مطّ الدكتور (جلال) شفتيه ، وقال :

ـ هذا ما ينبغى أن يفعله أى رجل مخابرات علمى منضبط .

رمقه القائد الأعلى بنظرة صارمة ، قبل أن يعاود الالتفات إلى (نور) ، قائلاً :

ـ من المؤكّد أنك قد سمعت وشعرت بذلك الضجيج ، كما حدث لنا جميعًا .

أجابه (نور) بإيماءة رأس ، وقال :

ـ لم يمكننا تفسيره جيّدًا ، ولكن (سلوى) ، باعتبارها خبيرة فى الصوتيات والترددات ، اقترحت أنه ذبذبة صوتية عالية للغاية ..

غمغم الدكتور (جلال) ، فى لهجة بدت أشبه بالسخط:

ـ إنه كذلك .

ثم تحرك فى عصبية واضحة ، وهو يشير بكفيه ، متابعًا :

ـ أجهزتنا التقطت تلك الذبذبة ، قبل دقيقة وتسع ثوان ، من بلوغها مرحلة السمع ، التى صنعت ذلك الضجيج ، الذى استغرق بدوره ثلاثين ثانية أخرى ثم تلاشى دفعة واحدة ، وكأنما لم يكن له وجود .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ وهل توصلت أجهزتكم إلى تفسير منطقى ، لحدوث تلك الذبذبة ؟!

هز الدكتور (جلال) رأسه ، ولوح بسبابته ، مجيبًا :

ـ نظريات وافتراضات فحسب .

سأله (نور) باهتمام أكبر :

ـ مثل ماذا ؟!

تبادل الدكتور (جلال) نظرة عصبية مع القائد الأعلى ، قبل أن يجيب هذا الأخير :

ـ محاولة اختراق فضائية .

تساءل (نور) فى دهشة متوترة :

ـ محاولة ماذا ؟!

أجابه الدكتور (جلال) هذه المرة :

ـ محاولة اختراق فضائية يا فتى .. شىء ما يحاول اختراق وتجاوز الحاجز الفضائى ، والمرور عبر مسار كونى خاص ، يختصر الزمن والمسافة ..

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويضيف فى حزم صارم :

ـ مسار نطلق عليه فى معاملنا اسم : (طريق النجوم) .

حدق (نور) فى وجهه لحظة بدهشة بالغة حائرة ، قبل أن يعتدل فى وقفته ، قائلاً :

ـ سيدى .. أعتقد أن الأمر بحاجة إلى توضيح أكثر .

زفر الدكتور (جلال) زفرة متوترة ، وتبادل نظرة شديدة العصبية ، مع القائد الأعلى ، قبل أن يشير بيده إلى (نور) ، قائلاً :

ـ اجلس أيها المقدم ، فالحديث يحتاج إلى كل تركيزك .

جلس (نور) على مقعد وثير ، مواجه لمكتب القائد الأعلى ، فى حين ضغط الدكتور (جلال) زرًا صغيرًا ، فانطفأت أنوار الحجرة ، ثم تكونت فى بطء صورة هولوجرافية مجسمة للمجموعة الشمسية ، وكواكبها وأقمارها تسبح حول الشمس فى هدوء ، والدكتور (جلال) يقول :

ـ منذ بدأ عصر الفضاء ، فى أوائل النصف الثانى من القرن العشرين ، كان التعامل مع المسافات البعيدة

فى الكون هو العقبة الأولى ، فى سبيل الوصول إلى الكواكب البعيدة ، فى مجموعتنا الشمسية ، أو تجاوزها إلى مجموعات أخرى بعيدة .. ومع التطوّر الطبيعى ، أمكن التغلُّب على تلك العقبة إلى درجة محدودة ، ضاعفت من سرعة مركباتنا الفضائية ، وقدرتها على بلوغ أطراف المجموعة الشمسية ، وإن استغرق هذا زمنًا طويلاً ، يقدَّر بعدة سنوات ، انخفضت فى القرن الحادى والعشرين إلى أسابيع محدودة ، أتاحت لنا فحص ودراسة (نبتون) (*) و (بلوتو)(**) ، وإن لم تسمح ببلوغ منظومات شمسية بعيدة بعد .

(*) نبتون : ثامن كواكب المجموعة الشمسية ، يتم دورته حول الشمس فى ١٦٤,٨ سنة أرضية ، ولقد استنتج (جون كاوتش آدم) و (أوربان جون جوزيف) موقعه ، بعد دراسة عدم انتظام حركة (أورانوس) ، ثم عثر عليه (يوهان جال) عام ١٨٤٦ م ، وهو محاط بغلاف من غازات الأيدروجين والميثان ، وبعض الغازات الأخرى النادرة .

(**) بلوتو : أبعد كواكب المجموعة الشمسية ، كشفه (كلايد ويليام تومبو) ، عام ١٩٣٠ م ، معتمدًا على أعمال (برسيفال لويل) ١٩١٤ م ، الذى كشف وجود ذبذبات غير مفهومة ، فى مسارى (نبتون) و (أورانوس) ، وهو يقطع مساره خارج مسار (نبتون) ، فى ٢٤٨ سنة أرضية .

تفرَّت الصورة الهولوجرافية ، وبدا وكأنها تبتعد وتبتعد ؛ لتشمل المجموعة الشمسية كلها ، ثم الفضاء من حولها ، والمجموعات الشمسية الأخرى ، ثم مجرتنا كلها ، والدكتور (جلال) يتابع :

ـ ثم كانت الحملة الاستكشافية الفضائية الأخيرة ، لكوكب (نبتون) ، عندما أنهى رواد الفضاء مهمتهم ، وبدأوا رحلة عودتهم إلى الأرض .. كان كل شىء يسير على ما يرام ، حتى أصيب جهاز الإرسال بخلل مفاجئ ، وانطلقت منه ذبذبات عالية للغاية ..

أشار (نور) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ دعنى أخمِّن .. لقد شقَّت تلك الذبذبات المرتفعة طريقًا جديدًا وسط الفضاء .

هتف الدكتور (جلال) ، فى شىء من الحماس :

ـ بالضبط .. تلك الذبذبات أدَّت إلى نشوء ثغرة فضائية مباغتة ، عبرها مكوك الفضاء ، قبل أن يتمكَّن رواده من تفادى الأمر .

وعاد يزفر ، مستطردًا :

ـ وكان هذا من حسن الحظ .

ومع قوله ، اندفعت الصورة الهولوجرافية فجأة ،

في الاتجاه العكسي ، كقذيفة تنطلق نحو المجموعة الشمسية ..

ونحو كوكب (المريخ) بالتحديد ..

وعندما توقّفت الصورة ، أشار إليها الدكتور (جلال) ، قائلاً :

- وفجأة ، وكما يحدث في أفلام السينما ، وجد رواد الفضاء أنفسهم على مسافة عدة آلاف من الكيلومترات ، من كوكب (المريخ) .. أي أنهم قد عبروا المسافة من (نبتون) إلى (المريخ)(*) ، في لحظة واحدة ، ودون أن يفقدوا قطرة وقود إضافية .

هتف (نور) مبهورًا :

- إنه كشف علمي تاريخي رائع .

أجابه الدكتور (جلال) في حماس :

- بالتأكيد .. وهو سر حربي بالغ الخطورة أيضًا ، فبعد أن راجعنا سجلات المكوك ، وحددنا قوة الذبذبة وتردُّدها ، أمكننا تكرار التجربة بنجاح ، كما أمكننا وضع

(*) المجموعة الشمسية : تتكوّن بالترتيب (بعدًا عن الشمس) ، من : (عطارد) ، (الزهرة) ، (الأرض) ، (المريخ) ، (المشترى) ، (زحل) ، (اورانوس) ، (نبتون) ، (بلوتو) .

عشرات القواعد المتعلقة بها ، مما ساعدنا على المضي قدمًا في مشروع (طريق النجوم) .

قال (نور) في اهتمام :

- والمفترض أن يتيح لنا طريق النجوم هذا القفز مباشرة ، من مكان إلى آخر ، عبر الكون الفسيح ، دون قطع المسافات الزمنية التقليدية .. أليس كذلك ؟!

أشار الدكتور (جلال) بسبّابته ، مجيبًا :

- بلى أيها المقدّم .. حاول أن تتخيّل ما يمكن أن يفعله هذا .. حاول أن تتصوّر الفوائد الجمّة ، التي تعود إليك ، مع قطع ملايين السنوات الضوئية في لحظة واحدة .

بدا الانبهار واضحًا في صوت (نور) ، وهو يقول :

- رباه ! إنه كشف رهيب بحق !

تبادل القائد الأعلى نظرة عصبية متوترة أخرى ، مع الدكتور (جلال) ، قبل أن يقول في خفوت :

- المؤسف أننا لسنا وحدنا ندركه يا (نور) .

التفت إليه (نور) بعينين متسائلتين ، فتابع في توتر :

– ما حدث اليوم يعنى أنه هناك قوة أخرى ، تحاول اختراق طريق النجوم ، حتى تصل إلينا .

سأله (نور) فى توتر :

– قوة مثل ماذا ؟!

وقبل حتى أن يسمع الجواب ، كانت كل خلية فى جسد (نور) ترتجف هلعًا ، والقائد الأعلى يقول :

– غزو أيها المقدَّم .. غزو من الفضاء الخارجى ..

* * *

اتسعت عيون أفراد الفريق فى ذهول مذعور ، وهم يحدقون فى وجه (نور) ، الذى أدار بصره فى وجوههم جميعًا ، قبل أن يقول بحزم القائد :

– لو صحّ هذا الافتراض ، فسيعنى الأمر أننا نواجه صورة أخرى ، من ذلك الرعب ، الذى عشنا فيه طويلاً من قبل ، والذى أدى إلى انهيار الحضارة الأرضية على نحو مخيف .

غمغمت (نشوى) ، وهى تهز رأسها فى توتر :

– لا يمكننى أن أتخيل المرور بكل هذا مرة أخرى .

تمتم (أكرم) فى عصبية :

– الغزو ، والدمار ، والجحيم ، وأكلة لحوم البشر .. لا .. لست أظن أيًا منا مستعدًا لهذا .

قال (نور) ، فى محاولة لحسم الأمر :

– إنه مجردُ افتراض ، حتى هذه اللحظة .

أشارت إليه (سلوى) ، قائلة فى قلق شديد :

– ولكنه افتراض قوى للغاية يا (نور) ، فلقد أعددت دراسة الموقف كله ، بناء على المعلومات الجديدة ، التى حصلنا عليها من إدارة البحث العلمى ، ووجدت أن الأمر يمثّل محاولة اختراق فضائية بالفعل .

هتف (أكرم) معترضًا :

– ولكن كيف ؟! إن مشروع (طريق النجوم) هذا لايزال سرًا حربيًا محظورًا ، حتى هذه اللحظة ، و ...

« بالنسبة لمن ؟! »

قاطعه صوت (رمزى) ، فى هدوء عجيب ، جعل العيون كلها تلتفت إليه ، وهو يتابع :

– العلم هو العلم ، فى كل زمان ومكان ، والفضاء متاح للجميع ، وقوانينه سيخضع لها الكل ، طبقًا للمنطق العلم ، وهذا يعنى أننا لسنا أول من يكشف سر طريق النجوم هذا .. بل لو أردتم رأيى ، فربما كنا فى آخر القائمة ، بالنسبة لسلسلة من الحضارات

الكونية المتقدمة ، وربما يبرز هذا نجاح تلك الحضارات في الوصول إلينا ، منذ قرون عديدة ، كما تؤكد المشاهدات ، في الأساطير القديمة والآثار المختلفة ، وكهوف (تاسيلى) وغيرها .. كل ما حدث هو أننا قد أدركنا الأمر ، وعرفناه ؛ وصار بوسعنا أن ندرك أبعاده .. أما القول بأن طريق النجوم لم يكن معروفًا ، قبل أن نكتشفه نحن ، فهو يذكرني بتلك المفارقة الساخرة ، عندما أخبر أحدهم ممثلة سينمائية شهيرة أن الأكسجين قد تم كشفه عام ١٦٧٤م ، فسألته في دهشة عما كان يتنفسه الناس ، قبل ذلك التاريخ(*) ..

ثم اعتدل في مجلسه ، وهو يستطرد :

ـ الذى أريد قوله ، هو أن الذين يحاولون اختراق فضائنا ، هم حتمًا قوم يسبقوننا بسنوات من التقدُّم والحضارة ، ولديهم علوم تفوق كل ما لدينا .

قال (أكرم) في عصبية :

ـ أشكرك على رفع معنوياتنا .

هزَّ (رمزى) كتفيه ، قائلاً :

(*) واقعة حقيقية .. للأسف .

ـ إنه الواقع ، ولابد أن نواجهه ، مهما بلغت قسوته .

أشار (نور) بيده ، قائلاً في حزم :

ـ صدقت يا (رمزى) .. مواجهة الواقع وحدها يمكن أن تمنحنا شيئًا من الأمل .

سألته (نشوى) بصوت مرتجف :

ـ الأمل في ماذا ؟!

أجاب بحزم أكبر :

ـ في أن نتصدّى للغزاة الجدد .

قالت (سلوى) :

ـ إننا حتى لا ندرك ماهيتهم أو حدود قوتهم .

أجاب ، وهو يتجه نحو خريطة كبيرة :

ـ ولكننا نعلم موقع الاختراق على الأقل .

وأشار بسبّابته إلى نقطة بالقرب من (أسوان) (*) ، مكملاً :

ـ هنا .

(*) أسوان : مدينة قديمة ، فرعونية الاسم ، كانت ، كما يدل اسمها وتاريخها ، سوقًا للتجارة بين (مصر) وبقى دول (إفريقيا) ، فيها أغنى محاجر الجرانيت ، التى ارتادها المصريون القدماء ، ومنها اتخذ الفراعنة محطة لحملاتهم الكشفية والحربية والاقتصادية ، تزخر بالآثار القديمة ، ومن معالمها الحديثة السد العالى ، ومحطات توليد الكهرباء العملاقة .

هتف (أكرم) ، فى دهشة بالغة :

ـ (أسوان) ؟! ولكننا سمعنا الصوت بمنتهى الوضوح يا (نور) .. أعنى ذلك الضجيج .

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ الاختراق الفضائى يتم بزوايا حادة طويلة ، وما سمعناه وشعرنا به هو رد فعل نقطة الاختراق فحسب ، ومع المسافات الفضائية الهائلة ، والزاوية الحادة ، سيؤدى اختراق تلك النقطة إلى ظهور الغزاة هناك ، بالقرب من (أسوان) .

غمغمت (سلوى) فى توتر :

ـ من الواضح أن علماءنا قد قطعوا شوطًا طويلاً ، فى دراسة طريق النجوم هذا .

قال (نور) فى حزم :

ـ أطول مما يمكنكم تصوّره .

سأله (أكرم) ، دون أن يتخلّى عن عصبيته :

ـ وما الذى اتخذته الدولة ، لمواجهة هذا الاختراق ؟!

اعتدل (نور) ، وشدّ قامته ، وهو يجيب :

ـ الجيش كله يستعد لتلك المواجهة .. لقد تم نقل

أربعة ألوية كاملة إلى هناك ، وسرب كامل من المقاتلات الأرضية ، بالإضافة إلى سربين من المقاتلات الفضائية ، على أهبة الاستعداد ، للتصدّى لأى هجوم محتمل ، ثم إن ...

قاطعته (سلوى) :

ـ ليست لدينا ذرة شك واحدة ، فى أن الدولة قد اتخذت كل الاحتياطات العسكرية اللازمة ، ولكن السؤال هو : ما دورنا نحن ؟! لست أعنى كشعب ، ولكن كفريق .

أومأ (نور) برأسه متفهمًا ، ثم أطلق من أعمق أعماق صدره زفرة ملتهبة ، حملت كل ما تموج به أعماقه ، من توتر لا محدود ، قبل أن يجيب :

ـ إنهم بحاجة إلى فريق استطلاع .

هتف (أكرم) فى لهجة عجيبة ، وكأنه يتساءل ، ويرفض ، ويحار ، ويستنكر ، فى آن واحد :

ـ فريق ماذا ؟!

أجاب (نور) ، فى حزم وسرعة ، وكأنما يخشى أن تستوقفه مشاعره :

ـ فريق استطلاع يا (أكرم) .. الوسيلة اللازمة

للحصول على قدر كاف من المعلومات ، حول الهجوم الوشيك ، وقوة الخصوم ، وهويتهم ..

فريق يمكنه عبور طريق النجوم ، فى الاتجاه العكسى ، لجمع بعض المعلومات العلمية والفنية عن العدو ، قبل أن يضرب ضربته .

انتهى من كلماته ، فهبط على المكان صمت رهيب ثقيل ، والجميع يتبادلون نظرة ملؤها الدهشة والحيرة ..

والذعر أيضًا ..

ثم كانت (نشوى) أول من حطم حاجز الصمت هذا ، وهى تقول :

ـ رباه .. إنها مهمة ...

قاطعها (نور) ، فى حزم شديد التوتر :

ـ انتحارية .. نعم .. هذا صحيح .. لقد فكروا فى إرسال شخص آلى ، لجمع الصور والمعلومات ، ولكن المشكلة أن الأشخاص الآلية ، والآلات كلها يمكن خداعها ، عن طريق إشارات زائفة ، أو ترددات خادعة ، أو حتى السيطرة على محركاتها الرئيسية ..

وأدار عينيه فى وجوههم مرة أخرى ، قبل أن يتابع :

ـ لذا فالبشر هم الخيار الأمثل ، لمهمة كهذه .. هم وحدهم يمتلكون قوة الملاحظة ، والعلم ، والقدرة على تقييم الأمور .. هم وحدهم يمكنهم الحصول على معلومات صحيحة ، باستخدام مواهبهم وقدراتهم وخبراتهم ، وتحكمهم فيما تحت أيديهم من تكنولوجيا متطوِّرة .

غمغم (أكرم) :

ـ هذا ما أؤكده دائمًا .

أضاف (نور) فى حزم ، وكأنما لم يسمع تعليقه :

ـ والأهم أن يكون هؤلاء البشر علميين .

ثم عاد يشدّ قامته ، مضيفًا :

ـ باختصار ، إنهم يحتاجون إلى فريق علمى ، للقيام بمهمة انتحارية ، قد تنخفض احتمالات النجاة فيها إلى خمسة فى المائة فحسب ، ولكن ربما يعتمد عليها مصير الأرض كلها ، بما عليها ، ومن عليها .

عاد ذلك الصمت الثقيل الرهيب يُخيِّم على المكان مرة أخرى ، والجميع يتبادلون النظرة نفسها ، قبل أن يغمغم (أكرم) فى سخط :

ـ أخبرونى بالله عليكم .. لماذا يعتمد مصير الأرض دائمًا على فريقنا هذا .

قال (رمزى) فى حزم :

ـ إنه قدرنا .

تمتمت (نشوى) بصوت خافت مرتجف :

ـ نعم .. إنه قدرنا .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ـ نظرًا للطبيعة الانتحارية للمهمة ، فلا أحد يمكنه إجباركم على قبولها .. كل منكم له كل الحق فى ...

قاطعه (أكرم) فى عصبية :

ـ دعك من الحقوق والواجبات .. إننى سأتبعك إلى الجحيم ، مادمت ستذهب إليه .

وارتسمت ابتسامة مضطربة على شفتى (سلوى) ، وهى تقول :

ـ والزوجة تتبع زوجها دائمًا .

وهزّ (رمزى) كتفيه ، قائلاً بنفس ذلك الهدوء العجيب :

ـ لن تذهبوا بدونى .

أمسكت (نشوى) يده فى حنان ، وهى تقول :

ـ لم يعد لى خيار إذن .. سأتبع حتمًا أبى وزوجى .

بدا التأثر على وجه (نور) ، وهو يقول :

ـ هذا ما توقعته منكم جميعًا .. وما توقعته منكم الإدارة ، حتى إنهم يعدّون مركبتنا الفضائية بالفعل ، وهى مركبة صغيرة الحجم ، مسلّحة بمدافع ليزرية قوية ، ولكنها خفيفة الوزن ، بحيث يعاونها وقودها الأمينى على الانطلاق بسرعات مدهشة ، مع قدرة فائقة على المحاورة والمناورة .

ابتسم (أكرم) ، وهو يقول :

ـ أعتقد أنه سيروق لى جدًا أن أقود شيئًا كهذا .

أما (سلوى) ، فسألت فى توتر :

ـ ومتى تبدأ مهمتنا يا (نور) ؟!

هزّ رأسه ، مجيبًا :

ـ الغزو يمكن أن يحدث فى أية لحظة ، لذا فكل شىء معد بحيث تنطلق بمركبتنا الفضائية ، المزوّدة بكل الأجهزة العلمية المطلوبة ، خلال ساعة واحدة ، و ...

وقبل أن يتم عبارته ، دوى فجأة ذلك الضجيج ..

ولكنه فى هذه المرة ، كان أكثر قوة ..

وأكثر قربًا ..

بكثير .

* * *

٣ ـ الخوف ..

كل شىء هادئ فى (الإسكندرية) ..

كل شىء ..

الحياة تسير على الوتيرة نفسها ..

الناس منهمكون فى أشغالهم وأعمالهم ..

السيارات تقطع طريق الكورنيش بسرعة متوسّطة ..

المارة يتهادون فى بساطة ، و ...

وفجأة ، انطلق ذلك الضجيج ..

انبعث بغتة ، كما لو أن معركة حامية قد نشبت فجأة خلف السحاب ..

وبدهشة تمتزج بالرعب والفزع ، وبتساؤل مذعور حائر ، ارتفعت عيون الجميع إلى السماء ..

وفى اللحظة نفسها ، انشقت السماء ..

أو هكذا خُيِّل للكل ..

لقد ظهرت فيها بغتة ثغرة سوداء واسعة ، اندفعت عبرها مقاتلتان عجيبتا الشكل ، أشبه بنخلتين عملاقتين ،

انقضتا فى عنف وشراسة ، على كل ما يسير على الأرض ..

على المركبات ..

والسيارات ..

والدراجات البخارية ..

والحيوانات ..

وحتى البشر ..

انقضاضة قوية ، عنيفة ، وحشية ، انهمرت معها حزم الليزر القاتلة كالمطر ..

وتفجّر فى أعماق الكل رعب هائل ، وانطلق الجميع يعدون فى كل الاتجاهات ، وهم يطلقون صرخات رهيبة ، وكأنها أتت من قلب الجحيم ..

وانطلقت السيارات تحاول الفرار ..

وأدارت المركبات محركاتها ، لتمخر عباب البحر ، هاربة من ذلك الرعب الفضائى ..

ولكن حزم الليزر انهمرت ..

نسفت المركبات ..

سحقت السيارات ..

أبادت البشر ..

كل هذا خلال ثوان معدودات ..

لقد ظهرت فيها بغتة ثغرة سوداء واسعة ، اندفعت عبرها مقاتلتان عجيبتا الشكل ، أشبه بنخلتين عملاقتين ، انقضتا فى عنف وشراسة ..

وكان من الطبيعى ألا تلقى تلك المقاتلات الفضائية أدنى مقاومة ..

فقبل حتى أن تتحرك المقاتلات الأرضية ، من مطاراتها فى (المنتزه) ، و (سموحة) ، و (رأس التين) ، كانت تلك الوحوش الآلية قد أتمت مهمتها الدموية ، وعادت أدراجها نحو السماء ، التى انشقّ فيها ذلك الثقب مرة أخرى ، لتختفى فيه المقاتلات ، ثم يعود كل شىء إلى ما كان عليه ..

ويتلاشى الضجيج دفعة واحدة ..

ثم يسود هدوء عجيب ..

هدوء له رائحة الدم ..

والموت ..

* * *

« (الإسكندرية) .. (المنيا) .. (بنى غازى) .. (الرباط) .. (مارسيليا) .. (نابولى) .. (منشستر) .. (بكين) .. (لينينجراد) .. (سيدنى) .. (بيروت) .. (بوينس أيرس) .. (البرازيل) .. (واشنطن) ، (لوس أنجلوس) .. كلها تلقت الضربة نفسها ، فى نفس اللحظة .. »

نطق الدكتور (جلال) العبارة ، فى توتر لم يسبق له مثيل ، وهو يتنقل بسبابته على خريطة العالم ، قبل أن يتابع :

ـ وفى كل موقع ، لم تستغرق الضربة سوى ثلاثين ثانية بالضبط ، ثم انسحبت كل المقاتلات دفعة واحدة ، دون تفسير منطقى .

رفع (نور) سبابته ، قائلاً :

ـ أعتقد إننى أخالفك الرأى هذه المرة يا دكتور (جلال) .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى عصبية ، فى حين مال القائد الأعلى إلى الأمام ، يسأل (نور) فى اهتمام :

ـ وفيم تخالفه ؟!

أجاب (نور) :

ـ فى عدم وجود تفسير منطقى ، لذلك الانسحاب السريع .

عقد الدكتور (جلال) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى حدة :

ـ وهل لديك تفسير أيها العبقرى ؟!

تجاهل (نور) نبرته الحادة ، وهو يقول :

ـ من الواضح أن الهدف الرئيسى لتلك الضربات هو توجيه صفعة نفسية ، تقضى على الروح المعنوية الأرضية تمامًا .

فغر الدكتور (جلال) فاه فى استنكار ، لم يلبث أن حوّله إلى هتاف غاضب :

ـ صفعة نفسية وروح معنوية ؟! أى قول هذا أيها المقدّم ؟! هل تعلم كم جشمتنا تلك الصفعة النفسية ؟! أكثر من نصف مليون قتيل ، وضعفهم من المصابين ، فى أنحاء العالم المختلفة ، ودون أن تسقط مقاتلة فضائية واحدة .. هل تدرك مدى الرعب والفزع اللذين يجتاحان العالم الآن ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ بل أدركه جيدًا يا سيدى ، وهذا ما يجعل استنتاجى منطقيًا ، على كل المستويات .. أنت قلتها بنفسك .. لقد فقدنا نصف مليون قتيل ، وضعفهم من المصابين ، فى كل أنحاء العالم ، دون أن نسقط مقاتلة فضائية واحدة .. دعنا نراجع المعطيات إذن ، وستدرك ما أعنيه بالضبط ..

ثم راح يتحرك فى الحجرة ، وهو يقول فى حزم ، وكأنما يتحدث إلى نفسه بصوت مسموع :

ـ من الواضح أن هؤلاء الغزاة لم يكملوا دراستهم عنا بعد .. وأن ذلك الهجوم كان يستهدف إثارة ذعرنا إلى أقصى حد ، ولأنهم لا يعلمون ما الذى يمكن أن تسفر عنه مواجهة مباشرة ، فقد ركزوا ضربتهم فى هجوم خاطف ، وانسحاب سريع ، بحيث يتركون خلفهم نتيجة مثالية تمامًا .. عددًا هائلاً من القتلى والمصابين ، فى دائرة تشمل العالم كله ، ودون أدنى خسائر .

هتف الدكتور (جلال) :

ـ رباه ! إنه تفسير منطقى للغاية .. أنت عبقرى أيها المقدّم .

أومأ (نور) برأسه ، قائلاً :

ـ أشكرك يا سيّدى ، ولكن الأمر لن يقتصر حتمًا على هذا الاختبار .

سأله القائد الأعلى ، فى اهتمام قلق :

ـ ما الذى تتوقعه يا (نور) ؟!

أجاب فى حزم :

ـ ضربة ثانية ، بعدد محدود من المقاتلات ، فى ثلاثة أو أربعة مواضع فحسب .. وستطول هذه المرة ، حتى يحدث اشتباك بينها وبين مقاتلاتنا .

غمغم القائد الأعلى :

ـ نوع من اختبار القوة إذن .

أجاب (نور) :

ـ بالضبط .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يفكر فى عمق ، فى حين لوّح الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً :

ـ إنهم يفعلون نفس ما نسعى نحن لفعله .. يجمعون المعلومات عن الخصم .

قال القائد الأعلى فى حزم :

ـ لابد أن نسبقهم إلى هذا إذن .

شدّ (نور) قامته ، قائلاً :

ـ فريقى مستعد للإقلاع فورًا يا سيّدى .

أومأ القائد الأعلى برأسه ، مغمغمًا :

ـ عظيم .

ثم نهض من خلف مكتبه ، وربّت على كتف (نور) ، مستطردًا فى قلق ملحوظ :

ـ نحن نعلم أنها مهمة انتحارية يا (نور) ، ولكن عليكم أن تبذلوا قصارى جهدكم ، للعودة إلى هنا ، فنحن فى أمسّ الحاجة إلى تلك المعلومات ، التى قد يمكنكم الحصول عليها .. لقد كنا نتصوّر ، منذ نصف الساعة فقط ، أننا نستطيع تحديد موقع الاختراق ، ثم باغتنا الغزاة باختراقات متعدّدة مدروسة ، تؤكد أن معلوماتهم عن طريق النجوم ، تفوق معلوماتنا بمئات المرات .. إننا لم نستطع اتخاذ قرار بسحب قواتنا من (أسوان) ، ولم يمكننا إعادة توزيعها فى الوقت ذاته ، وهذا يعنى أننا أصبحنا عاجزين عن اتخاذ أية خطوة دفاعية ، إذا ما حدث الغزو .

وتنهّد فى مرارة ، متابعًا :

ـ ثم إن موجة الرعب قد تفجّرت بالفعل ، والعالم كله يرتجف من مجرّد احتمال تكرار التجربة .

وأدار رأسه إلى (نور) ، وتطلّع إلى عينيه مباشرة ، قبل أن يضيف :

ـ لهذا ، فنحن فى أمس الحاجة ، لكل ما يمكنكم إحضاره .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ اطمئن يا سيدى .. سنبذل كل ما يمكننا بذله .

ثم انعقد حاجباه ، مضيفًا فى صرامة :

ـ حتى حياتنا نفسها ، لو اقتضى الأمر .

ربّت القائد الأعلى على كتفه مرة أخرى ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

فلم يعد هناك ما يقال ..

على الإطلاق ..

* * *

« من المقدّم (نور الدين) ، قائد المكوك الفضائى (ابن ماجد) ، إلى القاعدة الأرضية .. كل شىء يسير على ما يرام .. المحركات تعمل بكفاءة ، ومستوى الضغط والهواء مثالى ، ونستعد للإقلاع .. »

نطق (نور) عبارته فى حزم ، وهو يجلس على مقعد قيادة المكوك الفضائى الصغير ، المعدّ خصيصًا لمهمتهم الانتحارية ، فازدرد الجميع لعابهم ، وتشبثوا فى مقاعدهم ، فيما عدا (أكرم) ، الذى قال فى سخرية عصبية :

ـ مرحى يا رفاق .. ها نحن أولاء نستعد لاقتحام الجحيم .

لم يعلّق أحدهم على عبارته ، فى حين انبعث صوت حازم صارم ، عبر أجهزة الاتصال ، يقول :

ـ تمت إجراءات الإقلاع ، وسيبدأ العد التنازلى ..
عشر .. تسع .. ثمان .. سبع ..
توالى العد التنازلى ، وراحت قلوب الجميع تخفق فى قوة وعنف ، وتشبث كل منهم بمقعده أكثر وأكثر ، و ...
« صفر .. »
انطلق العد الأخير ، وضغط (نور) زرًا أصفر كبيرًا ..
وأقلع مكوك الفضاء ..
انطلقت ألسنة اللهب من أنابيب العادم ، وارتفع جسمه عن الأرض ..
ثم انطلق ..
انطلق بزاوية حادة شبه قائمة ، نحو الفضاء مباشرة ..
وعندما تجاوز السحب بثلاثة كيلومترات ، انطلقت منه تلك الذبذبة المرتفعة ..
ثم سمع الجميع نوعًا من الضجيج ..
وتألق المكوك لحظة ..
ثم اختفى ..

اختفى بكل ما عليه ، ومن عليه ، لينطلق بكل قوته عبر الطريق ..
طريق النجوم ..

* * *

عضت (مشيرة) شفتيها ، فى ألم ومرارة ، وراحت تنتحب بلا دموع ، وجسدها يرتجف فى شدة ، وهى تتطلع إلى بحر الدم ، الذى غمر منطقة الكورنيش ..
ودون أن تدرى ، وجدت نفسها تهتف :
ـ يا للبشاعة ! يا للبشاعة !
سألها مساعدها فى قلق :
ـ هل نلتقط الصور لما حدث يا سيدتى ؟!
صاحت به فى حدة :
ـ بالطبع يا رجل .. ماذا تنتظر ؟!
ارتبك ، وهو يغمغم :
ـ لقد تصورت لحظة أن ...
ثم بتر عبارته ، وهز رأسه ، مكملاً :
ـ لابأس .. سأنقل الصورة كلها .
مسحت هى دموعًا بدأت تنحدر من عينيها ، وهى تمسك الميكروفون ، قائلة :

ـ سيداتى سادتى .. مشاهدى (أنباء الفيديو) فى كل مكان .. إننا نتحدث إليكم من ساحة القتال .. معذرة .. من المذبحة الرهيبة ، التى صنعها غزاة الفضاء بمواطنينا الأبرياء .. غزاة الفضاء .. دعونا نتوقّف طويلاً عند هذا المصطلح !! أهذا بالفعل من عمل غزاة فضائيين ؟! هل تواجه الأرض شبح احتلال جديد ؟! هل سنحيا مرة أخرى ذلك الجحيم ، الذى لم تتلاش آثاره كلها بعد .. هاهى ذى (القاهرة) القديمة على بعد أمتار قليلة منا ، شاهدة على ما فعله بنا غزو سابق .. حتى بعد رحيل الغزاة .. صدقونى .. إننى أشارككم الرعب نفسه .. لا يمكننى أن أتصوّر ما يمكن أن يحدث ، لو بلينا بغزو جديد .. لا يمكننى أن أتخيّل ..

« لقد توقّف البث .. »

ارتفع صوت مساعدها بالعبارة ، فى عصبية شديدة ، فانعقد حاجباها فى توتر شديد ، وهى تهتف :

ـ ماذا تعنى بأن البث قد توقّف ؟! من جرؤ على إيقافه ؟!

انفرجت شفتا مساعدها ؛ ليجيب السؤال ، ولكن

صوتًا صارمًا انبعث من خلفه يقول :

ـ أنا .

أدارت عينيها فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ثم انعقد حاجباها فى شدة ، عندما وقع بصرها على رجل ممشوق القامة ، عريض المنكبين ، حاد القسمات ، تقدّم نحوها ، وهو يقدّم نفسه ، قائلاً :

ـ العميد (أشرف لبيب) .. من هيئة الأمن القومى .

قالت فى عصبية :

ـ تشرّفنا .. والآن لماذا أوقفت البث ؟!

أجابها فى برود لا يخلو من الحزم :

ـ أمن الدولة يحتم هذا .

صاحت فى غضب :

ـ أمن الدولة ؟! أى أمن وأية دولة ؟! وما صلة أمن الدولة بما نقول ؟! إننا نصف حادثة يعرفها الجميع .

أجاب فى صرامة :

ـ بل تنقلون صورة بشعة إلى المواطنين ، على نحو يكفى لإصابتهم برعب هائل ، نحن فى غنى عنه ، فى هذه الظروف .

هتفت :

ـ تنقل ماذا ؟! لو أنك لاتعلم ، فالأمر لم يعد بحاجة إلى نقل أية صورة يا هذا .. إنه حدث عالمي .. كل قارة في العالم أصابها ما أصابنا ، وكلها تبث ماحدث ، عبر الأقمار الصناعية ، بحيث يشاهده العالم أجمع ، فلماذا نتخلف عن الركب .

صاح بها :

ـ أي ركب يا سيدة (مشيرة) ؟! أي ركب ؟! إنها كارثة رهيبة ، نواجهها بكل قوتنا وكياننا ، وكل مايهدف إليه خصمنا ـ أيًا كان ـ هو أن يحطم مقاومتنا ، وينسف روحنا المعنوية ، حتى يمكنه سحقنا بأنامله ، دون أن تقوم لنا قائمة .. وما تفعلينه أنت ، ومن يسيرون في ركبك هذا ، هو أفضل ما يتمناه العدو ، دون أن تدركوا هذا .. إنه يقودكم كالنعاج لتحقيق أغراضه ، وأنتم تتصورون أنكم آلهة الحرية والديموقراطية .. هيا .. عاندوا وكابروا ، وامنحوا الغزاة عالمًا التهمه الخوف والفزع ، ولم يعد باستطاعته أن يقاوم لحظة واحدة .

قالت في حدة :

ـ ولِمَ لاتقول : إننا سنمنحهم عالمًا واعيًا ، مدركًا ،

يفهم عدوه ، ويقدر على مواجهته ؟!

بدا شديد الغضب والصرامة ، وهو يجيب :

ـ يفهم ماذا ، ويقدر على ماذا ؟! هل تتصورين أنه عالم من أبطال الأساطير والفرسان المغاوير ؟! إنه عالم عادي ياسيدتي .. بسيط .. ينظر تسعون في المائة من سكانه إلى الأمور نظرة سطحية ، جاهلة ، بحيث يمكن التأثير فيهم ، عبر أية وسيلة إعلامية قوية ، وأعتقد أنكم خير من يدرك هذا .

قالت غاضبة :

ـ ما أدركه هو أن ...

قبل أن تتمّ عبارتها ، انبعث ذلك الضجيج مرة أخرى فجأة ..

انبعث لحظة واحدة ، ثم خبا في سرعة ..

وعلى الرغم من أن الانبعاث والخبو لم يستغرقا سوى تلك اللحظة ، فقد خفقت معهما قلوب الجميع في عنف ..

وخوف ..

وارتياع ..

أما (مشيرة) بالذات ، فقد اعتصر الخوف قلبها

على نحو لم يحدث من قبل ..

فعلى الرغم من جهلها التام برحلة زوجها ، ومهمته الانتحارية ، عبر طريق النجوم ، إلا أن شيئًا ما في أعماقها أطلق طاقة هائلة من الخوف ..

خوف بلا حدود ..

* * *

شعور عجيب ، ذلك الذي أصاب الجميع ، مع عبورهم إلى طريق النجوم ..

ارتجافة قوية سرت في أجسادهم ..

مع قشعريرة باردة كالثلج ..

ومع لحظة العبور ، خُيِّل إليهم أن رياحًا باردة قد هبَّت في وجوههم ، وانتزعت قلوبهم من صدورهم ..

ثم تلاشى كل هذا دفعة واحدة ..

وظهر أمامهم الفضاء السرمدى ، بنجومه وكواكبه ، ومجموعاته الشمسية ، المتناثرة على مسافة واسعة للغاية ..

وعلى شاشة الكمبيوتر ، ظهرت عبارة تحدِّد موقعهم الحالى ..

وفى دهشة ، هتف (أكرم) :

ـ رباه ! إننا على مسافة ثلاث سنوات ضوئية من الأرض (*) ..

هتفت (نشوى) ذاهلة :

ـ كم ؟!

أما (سلوى) ، فقد شهقت مغمغمة :

ـ رباه ! طريق النجوم هذا كشف رهيب بحق .

وأضاف (رمزى) مبهورًا :

ـ ثلاث سنوات ضوئية بقفزة واحدة ؟! يا إلهى !

راجع (نور) الأرقام والبيانات ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ المفترض أننا هنا فى نفس البقعة ، التى أتت منها محاولة الاختراق الأولى .

أدار (أكرم) عينيه فيما حوله فى حذر ، قبل أن يقول :

ـ عجبًا ! كل شىء يبدو لى هادئًا خاليًا ، والفضاء يمتدّ إلى ما لانهاية ، دون أى أثر .. لا سفن فضاء أو مركبات أو مقاتلات !!

(*) السنة الضوئية : مقياس فلكى للمسافات الفضائية البعيدة ، وهو عبارة عن المسافة التى يقطعها الضوء ، خلال سنة كاملة ، بسرعته البالغة ١٨٦٠٠٠ ميل/ث .

فحص الجميع المكان بأبصارهم ، وقالت (سلوى) :

ـ لا توجد حتى كواكب واضحة فى الجوار ..

غمغمت (نشوى) :

ـ تُرى ما الذى يعنيه هذا ؟!

قال (رمزى) فى قلق :

ـ ربما وصلنا إلى منطقة خطأ .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ مستحيل ! الخبراء درسوا الأمر بمنتهى الدقة ، والكمبيوتر يؤكد أننا فى البقعة الصحيحة تمامًا .

قال (أكرم) :

ـ ربما كانت نفس النقطة ، التى انبعث منها الضجيج الأول ، ولكنها ليست تلك التى بدأ منها الهجوم .

غمغم (نور) :

ـ هذا صحيح .

ثم أضاف فى حزم :

ـ ولكن الهجوم جاء من نقاط عديدة .

شحب وجه (سلوى) ، وهى تقول :

ـ (نور) .. أخشى أنهم قد خدعونا .

قال فى توتر :

ـ ماذا تعنين ؟!

أجابته بصوت مرتجف :

ـ من الواضح أن خبراتهم فى التعامل مع طريق النجوم هذا ضخمة للغاية ، وأنهم يدركون ، على نحو ما ، أننا قد توصلنا إليه ، لذا فهم يعبثون بنا ، ويقودوننا إلى نقطةٍ ما ، فى حين يشنون هجومهم من نقطة أخرى .

قال فى حزم :

ـ ليس لديهم ما يبرِّر أن يفعلوا هذا ، مادام باستطاعتهم اختراق طريق النجوم ، فى أية بقعة يرغبون .

قالت (نشوى) فى انفعال :

ـ ولكنك قلت : إنهم مازالوا يفتقرون إلى المعلومات عنا يا أبى ، ومازالوا يجهلون ما يمكن أن تسفر عنه مواجهة مباشرة .

صمت بضع لحظات ، محاولاً استيعاب منطقهم ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ كلا .. هناك تفسير آخر حتمًا .

أشار (رمزى) بيده ، وهو يقول :

ـ ماذا يقول الكمبيوتر ، عن الكواكب التى يحتمل وجود حياة على سطحها ، فى محيطنا هذا ؟!

جرت أصابع (نور) على أزرار الكمبيوتر بضع لحظات ، قبل أن يهزّ رأسه نفيًا ، ويقول :

ـ لا توجد أية كواكب صالحة للحياة ، فى دائرة نصف قطرها مليون كيلومتر .

تبادل الجميع نظرة حائرة ، ثم راحت (سلوى) تضغط أزرار جهازها ، قائلة :

ـ فليكن .. وجدنا شيئًا أم لا ، فالمهم أن نؤدّى عملنا ، الذى أتينا من أجله .. سنجمع كل ما تيسّر من معلومات ، عن المكان الذى أتت منه محاولة الاختراق الأولى ، و ...

قبل أن تتمّ عبارتها ، ارتجّت المركبة الفضائية بغتة ..

وشهقت هى فى ذعر ، فى حين اتسعت عينا (رمزى) ، وانعقد حاجبا (نور) و (أكرم) ، فى حين هتف (رمزى) :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يتطلّع إلى شاشة الكمبيوتر ، مجيبًا :

ـ لست أدرى .. حتى الكمبيوتر عجز عن تفسير هذا الأمر .

أجابته (سلوى) بصوت مرتجف :

ـ ولكن جهازى فعل .

التفت إليها الجميع في دهشة ، فتابعت بصوت أكثر ارتجافًا :

ـ إنه ضجيج آخر .

اتسعت عيونهم فى توتر ، وهتف (نور) :

ـ ضجيج آخر ؟!

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ أى ضجيج ؟! إننى لم أسمع شيئًا .

أجابه (نور) فى حزم ، وهو يضغط أزرار الكمبيوتر فى سرعة :

ـ لن يمكنك أن تسمع الضجيج هنا ؛ لأن الصوت لا ينتقل فى الفراغ (*) ، ولكنك ستشعر بتردداته .

(*) حقيقة علمية .

أجابه (نور) فى حزم ، وهو يضغط أزرار الكمبيوتر فى سرعة :
ـ لن يمكنك أن تسمع الضجيج هنا ؟

هتف (أكرم) :

ـ تقصد أن هذه الارتجاجة كانت ..

قبل أن يتمّ سؤاله ..

وقبل أن يجيبه (نور) ..

برزت فجأة مقاتلتان فضائيتـان ، مـن مقـاتلات الغزاة ..

برزتا من قلب الفضاء السرمدى ، وكأنما أتيتا من العدم ..

ودون أدنى صـوت ، انقضتا على مكوك الفضـاء (ابن ماجد) ..

بمنتهى الشراسة ..

والعنف .

* * *

٤ ـ الفضائيون ..

« الكل على أهبة الاستعداد .. »

نطق القائد الأعلى العبارة ، وهو يراجع تقارير الكمبيوتر الأخيرة ، قبل أن يلوّح بيده ، مستطردًا :

ـ القوات الجوية والفضائية مستعدة للمواجهة ، فى كل المحاور والمطارات ، من شرق (مصر) إلى غربها ، ولقد تدرّبوا على التدخّل خلال دقيقة واحدة من الاختراق ..

تنهّد الدكتور (جلال) ، وقال :

ـ هذا لو منحونا تلك الدقيقة .

قلب القائد الأعلى كفيه ، قائلاً :

ـ هذا كل ما بيدنا .

ثم تراجع فى مقعده ، ليسأله فى اهتمام :

ـ وماذا عن رجالك ؟!

زفر الدكتور (جلال) ، قبل أن يجيب :

ـ إنهم يبذلون قصارى جهدهم ؛ بحثًا عن وسيلة لمنع هؤلاء الغزاة من اختراق فضائنا ، ولكن يبدو أن

جهودهم كلها عبثية ، إذ من المستحيل إغلاق طريق النجوم ، فى كل نقطة من الأرض .. سيجدون حتمًا وسيلة لبلوغ عالمنا .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى حزم :

ـ ما لم نبلغ نحن عالمهم أوّلاً .

مطّ القائد الأعلى شفتيه ، مغمغمًا :

ـ ليس قبل أن تصلنا معلومات كافية عنهم .

عضّ الدكتور (جلال) شفته السفلى لبعض الوقت ، قبل أن يسأل فى توتر :

ـ هل تعتقد أنهم سينجحون ؟!

هزّ القائد الأعلى رأسه ، مجيبًا فى خفوت :

ـ إنهم أملنا الوحيد .

جلس الدكتور (جلال) على أقرب مقعد إليه ، وشبك أصابع كفيه أمامه ، وهو يقول :

ـ هل تعلم .. لقد أدرت الأمر فى رأسى ، فوجدت أنهم ، عندما يصلون إلى هدفهم ، عبر طريق النجوم ، لن يجدوا شيئًا على الإطلاق .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يعتدل فى مجلسه ، متسائلاً :

- ماذا تعنى ؟!

أشار بيده ، مجيبًا :

- لو أننى فى موضع أولئك الغزاة ، وأردت أن أعبر طريق النجوم إلى عالم آخر ، أخشى أن تكون لديه بعض المعلومات عن الطريق ، فإننى لن أعبره قط من عالمى مباشرة .

كرّر القائد الأعلى سؤاله ، فى قلق عارم :

- ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابه الدكتور (جلال) :

- لابد أن أحمى عالمى ، وأحافظ على سره ، وأنا أنتقل إلى عالم آخر ، لذا فمن المنطقى أن أقفز أولاً إلى نقطة محايدة ، ثم أثب منها إلى ذلك العالم الآخر ، وبهذا لايمكن أن تقود المعلومات ، مهما بلغت دقتها ، سكان ذلك العالم الآخر ، إلا إلى تلك النقطة المحايدة فحسب ، وليس إلى عالمى .

انعقد حاجبا القائد الأعلى أكثر وأكثر ، وهو يتراجع فى مقعده ببطء ، قائلاً :

- فكرة منطقية للغاية .

ثم اعتدل بحركة حادة ، مستدركًا :

- ولكنهم لن يتركوا تلك النقطة المحايدة بلا حراسة .

اتسعت عينا الدكتور (جلال) ، وهو يهتف :

- رباه ! هذا صحيح .

قال القائد الأعلى فى توتر :

- ويعنى أن (نور) وفريقه فى خطر .. خطر حقيقى .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى أضىء مصباح أحمر متذبذب فوق سطح مكتبه ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يهتف :

- رباه ! الأجهزة سجلت ضجيجًا آخر .

قالها ، فامتقع وجه الدكتور (جلال) فى شدة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وخفق قلبه كألف ألف قنبلة ..

فذلك الضجيج الجديد كان يعنى أن المواجهة ، قد حانت ..

المواجهة بين القوات الأرضية ، والغزاة ..

غزاة الفضاء ..

* * *

جاء الاختراق هذه المرة فوق (القاهرة) الجديدة تمامًا ..

ثلاث من مقاتلات الغزاة اخترقت فضاءنا ، ووثبت إلى عالمنا فى عنف ، بشكلها الشبيه بالنحل العملاق .

ودون رحمة أو هوادة ـ كالمعتاد ـ انطلقت تحصد كل ما تجده أمامها ..

السيارات ..

المنازل ..

الحيوانات ..

والبشر ..

ومن قواعدها ، انطلقت المقاتلات الأرضية ..

سرب كامل ، انقضّ على المقاتلات الفضائية الثلاث ، بمنتهى القوة والبسالة ..

وانطلقت صواريخ مقاتلاتنا ، وحزم أشعتهم الليزرية ..

ودوى انفجار عنيف ..

صواريخنا أصابت واحدة من مقاتلات الغزاة ، ونسفتها نسفًا ..

وفى جزء من الثانية ، انطلقت المقاتلتان الآخريان ،

تبتعدان عن مرمى النيران ، ثم دارتا حول نفسيهما بمشهد عجيب ، قبل أن تنفصل عنهما مئات من الكرات الصغيرة السوداء ، التى انطلقت نحو مقاتلاتنا مباشرة ..

ومن تلك الكرات السوداء ، انطلقت موجات كهرومغنطيسية قوية ، تحيط بمقاتلاتنا على نحو عجيب ..

وصرخ قائد السرب ، عبر جهاز الاتصال :

ـ رباه ! لقد توقفت محركاتنا ، وأسلحتنا كلها لاتعمل .. إننا نهوى .. يا إلهى ! ماذا فعلوا بنا .

ومع آخر حروف صرخته ، التى لم تنقلها أجهزة الاتصال ، بعدما أصابها من عطب إليكترونى ، بسبب تلك الموجات الكهرومغنطيسية القوية ، انقضت مقاتلتا الغزاة ..

وهوت حزم أشعتهم ..

وأيضًا بلا رحمة ..

وكانت كارثة رهيبة ، بأى مقياس عسكرى ..

ومنطقى ..

وإنسانى ..

سرب كامل من مقاتلاتنا الحربية ، مع أفضل وخيرة شباب (مصر) ، سحقهم الغزاة فى ثوان معدودة ..

ويا له من مشهد رهيب ..

بل يا له من حزن مرير ، ذلك الذى اعتصر قلب القائد الأعلى ، وهو يشاهد مقاتلاتنا تتساقط أمامه كشهب مشتعل ، لتنفجر وسط مناطق آهلة ومزدحمة بالسكان ..

وتمامًا كما حدث فى المرة الأولى ، لم تكد المقاتلات الفضائية تتمّ مهمتها ، حتى انسحبت فى سرعة ، وعبرت ذلك الشق ، لتتلاشى خلفه ، فى طريق النجوم ، تاركة خلفها بركانًا من الغضب والحزن ، والألم ، والمرارة ..

والخوف ..

بركان تفجّر فى أعماق الجميع ، وعلى رأسهم القائد الأعلى والدكتور (جلال) ، اللذين أدركا أن المواجهة التى تنبأ بها (نور) قد بدأت وانتهت ..

وأن الغزاة قد أدركوا تمامًا مدى قوتهم ..

وهذا يعنى انتقالهم حتمًا إلى الخطوة التالية ..

إلى الغزو ..

مباشرة ..

* * *

كمقاتل فضائى محترف ، ورجل مخابرات علمى ، تلقى تدريبات مكثفة عديدة ، لم يكد (نور) يلمح المقاتلتين الفضائيتين ، حتى انحرف بمركبته فى سرعة مدهشة ، ساعدته على تفادى حزمتى ليزر قويتين ، أطلقتهما المقاتلة الأولى ، فى حين دارت الثانية بسرعة مذهلة ، فى محاولة لحصاره بينهما ..

ومع خفة مركبته ، وقدرتها الفائقة على المناورة ، هبط (نور) فى سرعة ، ثم اندفع أسفل المقاتلة الثانية ، للإفلات من الحصار ، و ...

وأطلقت المقاتلة الأولى حزمة ليزر ..

وشعر الجميع بالضربة ، فى جسم مقاتلتهم ، فصرخت (نشوى) :

ـ رباه ! لقد أصابونا .

هتف (نور) ، وهو ينحرف إلى اليسار فى عنف :

ـ إصابة محدودة ، لم تفسد آلات التوجيه الرئيسية .

صاحت (سلوى) فى ذعر :

ـ كيف يمكنك الجزم بهذا ؟!

مال بالمركبة ، ليواجه إحدى المقاتلتين ، وهو يهتف :

ـ إننا نواصل الانطلاق .. أليس كذلك ؟!

ألقى هتافه ، وضغط زر الإطلاق ، ورأى شعاعى ليزر قويين ، ينطلقان من مركبته ، نحو مركبة الغزاة ..

ولقد تحركت المقاتلة الفضائية فى سرعة ..

وأمكنها أن تتفادى الشعاعين ..

أو كادت ..

فمع انحرافها وميلها ، أصاب أحد الشعاعين جناحها الرقيق شبه الشفاف ، و ...

وانفصل الجناح فى عنف ..

واختلّ توازن المقاتلة ..

واندفعت فى الفضاء ..

وبينما تدور حول نفسها فى عنف ، وهى تغوص أكثر وأكثر ، فى فضاء سرمدى لا نهائى ، كان (نور) ينحرف بمركبته ثانية ، وينخفض بها فى سرعة

مدهشة ، ليتفادى حزمتى ليزر ، أطلقتهما المقاتلة الثانية ، وهى تنقضّ عليه فى وحشية شديدة ..

وبقفزة أمامية ، ودوران خلفى مدهش ، أصبح (نور) خلف المقاتلة الثانية تماماً ..

وأطلق النار ..

ووسط الفضاء الصامت ، وبصمت يناقض القبور ، انفجرت المقاتلة الفضائية الثانية ، وتناثرت شظاياها لمسافة واسعة ..

ولوهلة ، اتسعت عيون الجميع فى انبهار ، قبل أن يهتف (أكرم) :

ـ رباه ! لقد فعلتها يا (نور) .. لقد ..

قبل أن يتمّ عبارته ، صرخ (رمزى) :

ـ احترس ..

ومع صرخته ، رأى الجميع شظية كبيرة ، من شظايا الآلة ، وهى تندفع نحوهم فى عنف وسرعة ..

وصاحت (سلوى) :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

وانحرف (نور) بكل مهارته وسرعته ..

وتجاوزت الشظية الكبيرة جسم المركبة ..

وهتف (رمزى) :

ـ رباه ! لقد نجونا ..

ولكنه لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتطمت الشظية بدفة الذيل ، وحطمتها فى عنف ..

واختلّ توازن المكوك الفضائى على نحو مخيف ..

وصرخت (سلوى) و (نشوى) ..

واتسعت عينا (رمزى) ..

وعقد (أكرم) حاجبيه فى شدة ..

أما (نور) ، فقد أمسك مقود المكوك بكل قوته ، وراح يعالج كل أجهزة التوجيه فيه ، فى محاولة للسيطرة عليه ..

ولم يكن ذلك سهلاً أو هينًا ..

ولكنه فعلها ..

أخيرًا أمكنه السيطرة على المكوك ، وأطلق صواريخه العكسية ، بمنتهى الدقة والسرعة والمهارة ..

حتى توقّف تمامًا ..

وسط فضاء بلا نهاية ..

وكان هذا أكثر إثارة للرعب ..

بلا حدود ..

* * *

« الصورة لا تبشّر بالخير أبدًا أيها السادة .. »

نطق رئيس الجمهورية العبارة ، فى توتر شديد ، وهو يواجه قادة الجيش والأمن ، الذين اجتمع بهم فى مبنى هيئة الأمن القومى ، قبل أن يشير بيده فى توتر عصبى ، متابعًا :

ـ كل المواجهات انتهت بالفشل ، فى (مصر) ، و (أمريكا) ، و (إنجلترا) ، و (اليابان) ، و (أستراليا) .. كلها انتهت بكوارث رهيبة ، وخسائر فادحة فى الأفراد والمعدات .. صورة تؤكد أننا سنحيا عذاب وجحيم احتلال آخر ، لا قبل لنا به .

سأله وزير الدفاع فى توتر لا يقلّ عن توتره :

ـ وما موقف الدول الأخرى يا فخامة الرئيس ؟!

زفر الرئيس فى مرارة ، مجيبًا :

ـ سيئ للغاية .

ثم هزّ رأسه فى أسى ، متابعًا :

ـ (أمريكا) و (اليابان) قررتا الاستسلام ، حفاظًا على أرواح مواطنيهم ، من قتال غير متكافئ ، وانضمت إليهما (روسيا) منذ قليل ، و (إنجلترا) مازالت تنتظر ما ستسفر عنه الأمور كالمعتاد ، والباقون

لا يحتاجون إلا لضغط بسيط ، ثم يلحقون بهم ..

باختصار أيها السادة ، لقد نجح الغزاة فى تحطيم الروح المعنوية الأرضية تمامًا .

تبادل الجميع نظرات متوترة للغاية ، قبل أن يسأل قائد القوات البحرية :

ـ هل يعنى هذا أننا سنستسلم أيضًا يا فخامة الرئيس ؟! هل نسلّم علمنا وكرامتنا وترابنا للعدو ، حفاظًا على حياتنا ، وحياة شعبنا ؟!

هتف الرئيس فى حدة :

ـ لا تنس أننا مسئولون عن حياة هذا الشعب ، ولا يمكننا أن نضحى بها ، دون أمل ولو ضئيل .

تنحنح القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، قائلاً :

ـ لو عاد (نور) وفريقه بالمعلومات اللازمة ، فقد ..

قاطعه الرئيس فى حدة :

ـ أما زلت تنتظر عودة (نور) وفريقه ؟! هيا .. استيقظ يا رجل .. إنها الواحدة والنصف بعد منتصف الليل ، وفريقك هذا انطلق منذ ما يزيد على عشر ساعات ، دون خبر واحد .. انس الفريق والمعلومات يا رجل ، وانظر إلى الأمر بواقعية .

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

ـ الفريق موجود يا سيادة الرئيس ، وسيعود بإذن الله ، ومن يدرى .. ربما ..

قاطعه الرئيس فى حدة :

ـ لا يوجد ربما .. أريد حقائق واضحة ، وأرقامًا لا تقبل الجدل .. ألديك هذا أم أبحث عنه فى مكان آخر ؟!

احتقن وجه القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ سيادة الرئيس .. هل تطالبنى بالاستقالة ؟!

صاح الرئيس :

ـ وما الفارق ؟! كلنا سنترك مقاعدنا ، مع بداية الغزو يا رجل .. كلنا سينتهى أمرنا ، فى غضون ساعات .

قال القائد الأعلى :

ـ وماذا لو ؟!

هتف الرئيس :

ـ لا أريد ماذا أو لو .. أريد حقائق .. فقط حقائق .

هزّ القائد الأعلى رأسه فى حزم ، وهو يقول :

ـ هذا ما لا أملكه ، فى الوقت الحالى يا فخامة

الرئيس .. لقد قدّمت كل ما توصّل إليه مركز الأبحاث ، وكل ما استنتجوه واستنبطوه من معلومات ، وهذا كل ما لدى .. بل ما لدينا جميعًا ، لو توخينا الدقة .

صاح الرئيس فى غضب :

ـ ما الذى تلمّح إليه بالضبط أيها القائد ؟!

أجابه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ لا شىء يا سيادة الرئيس .. أنت قلتها .. كلنا سنترك مقاعدنا ، وسينتهى أمرنا فى غضون ساعات ، عندما يبدأ الغزو .

امتقع وجه الرئيس ، وهو يتراجع مغمغمًا :

ـ أنت على حق يا رجل .. أنت على حق ..

ثم تحرك من مكانه ، وهو يحرك كفيه فى عصبية ، متابعًا :

ـ المشكلة أن الموقف لم يعد يحتمل حتى التردّد ، فالعالم ليس مغلقًا ، كما كان فى الأزمان القديمة .. لقد صار أشبه بحجرة واحدة مفتوحة ، مع انتشار وسائل الاتصال الفضائية والكمبيوترية ، على نحو لم يحدث من قبل قط .. والكل يعلم التفاصيل أولاً فأولاً

الآن .. شعبنا كله يدرك الموقف وخطورته ، ويعلم من استسلم مقدمًا ومن ينتظر .. والكل ، من الشرق والغرب ، والشمال ، والجنوب ، يدرك أن الغزو آت لا ريب ، وربما يدركون أيضًا أن المواجهة والقتال سيحوّلان الأمر إلى مذبحة رهيبة ، لا يدرك مداها سوى الله (سبحانه وتعالى) .

قال القائد الأعلى فى لهجة قوية :

ـ ليس المهم من يحيا ومن يموت يا سيادة الرئيس .. المهم أن نقاتل حتى آخر قطرة دم ، وألا نستسلم إلا عندما يصبح هذا حتميًّا .

هزّ الرئيس رأسه ، قائلاً :

ـ أتعشّم أن يكون هذا رأى الجميع .

قالها ، وهو يدير عينيه فى وجوه الجميع ، قبل أن يقول قائد القوات الجوية فى حزم :

ـ نسورى يصرّون على أنهم لن يستسلموا أبدًا ، ولقد أخبرونى صراحة أنهم يفضلون الموت داخل مقاتلاتهم .

صمت الرئيس بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم صارم :

ـ فليكن .. سنقاوم .
نطقها ، ثم ساد المكان صمت رهيب ..
صمت يوحى بأن تلك الليلة لن تنتهى ..
أبدًا ..

* * *

« أيعنى هذا أن أمرنا قد انتهى ؟! »
نطق (أكرم) العبارة فى عصبية شديدة ، وهو يدير عينيه فى الفضاء من حوله ، فغمغمت (سلوى) :
ـ أنا مستعدة لإطلاق ذبذبة القفز إلى طريق النجوم ، فى أية لحظة .
أجابها (نور) فى توتر :
ـ المهم أن ننطلق فى الاتجاه الصحيح .
غمغم (رمزى) فى شرود عجيب ، وكأنه يحدث نفسه :
ـ هذا مستحيل دون دفة .
تمتمت (نشوى) فى هلع :
ـ أيعنى هذا أن ..
قاطعها (رمزى) فى حزم :
ـ لا يعنى شيئًا .

ثم أضاف ، موجهًا حديثه إلى (نور) :
ـ لابد من إصلاح الدفة بأى ثمن .
قال (نور) ، وهو يفكر فى عمق :
ـ هذا يحتاج إلى مغادرة المكوك ، و ...
قاطعه (رمزى) فى حزم :
ـ سأتولى هذه المهمة .
شهقت (نشوى) ، وانعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وبدت الدهشة على وجه (سلوى) ، وانطلقت من بين شفتى (نور) ، وهو يهتف :
ـ أنت ؟!
أجابه (رمزى) فى سرعة :
ـ قبل أن ينطق أحدكم حرفًا واحدًا ، ينبغى أن تعلموا أنه ليس موقفًا بطوليًا ، وإنما قرار منطقى عملى بحت ؛ فمصير الأرض كلها يعتمد على عودتنا إليها .. أو عودة واحد منا على الأقل ، ليبلغهم ما يمكننا جمعه من معلومات ، وبحسبة بسيطة ، ستجدون أن (سلوى) هى الوحيدة بيننا ، التى يمكنها تحديد الذبذبة ، التى عبر بها الغزاة من عالمهم إلى هنا ، بعد تحليل الضجيج الصامت ، الذى

شعرنا به ، قبل ظهور المقاتلتين ، و (نشوى) هى خبيرة الكمبيوتر الوحيدة ، ولا يمكن الاستغناء عنها ، و (نور) هو القائد ، والمقاتل الأكثر خبرة ، لو ظهرت مقاتلات أخرى .

قال (أكرم) فى صرامة :

ـ وماذا عنى ؟!

أجابه (رمزى) على الفور :

ـ أنت القائد الاحتياطى للمركبة ، والوحيد الذى يمكنه العودة بها إلى الأرض ، لو أصاب (نور) مكروه لاقدَّر الله .

كان تفسيره منطقيًا ، حتى إن الوجوم قد خيَّم عليهم جميعًا ، ودمعت عينا (نشوى) ، وهى تضغط كفه فى حرارة ، فابتسم فى توتر ، قائلاً :

ـ إننى لن أسعى لفحص نفسية الغزاة .. ثم إنها مهمة انتحارية منذ البداية ، فما الفارق ؟!

تبادلوا نظرة متوترة أخرى ، قبل أن يقول (نور) فى حزم :

ـ فليكن .. هيا .. ارتد زيك الفضائى .. دعنا لانضيع الوقت .

غمغم (أكرم) فى عصبية :

ـ لقد أضعنا ما يكفى .

كان الخوف والقلق يسيطران على الجميع ، حتى إنهم لم يتبادلوا حرفًا واحدًا ، حتى غادر (رمزى) ، المكوك ، إلى الفضاء الخارجى ، فى زيه الفضى اللامع ، وأخذ يسبح نحو الدفة ..

عندئذ فقط ، هتفت (نشوى) فى شحوب :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أشار إليها (نور) بالصمت فى صرامة ، وهو يضغط زر الاتصال :

ـ (رمزى) .. هل تسمعنى ؟!

أتاه صوت (رمزى) ، مجيبًا :

ـ نعم يا (نور) .. أسمعك فى وضوح .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ هل ترى إصابة الدفة ؟!

أجابه (رمزى) ، وهو يسبح فى نعومة ، متجهًا إلى الدفة :

ـ بكل وضوح .. لقد أصابتها تلك الشظية مباشرة ، ولكن من حسن الحظ أنها لم تنفصل تمامًا .

سأله (أكرم) فى لهفة :

- هل تعتقد أن إصلاحها ممكن ؟!

أجاب (رمزى) على الفور :

- بالتأكيد .. ربما استغرق هذا بعض الوقت ، ولكننى أستطيع لحامها بإذن الله .

قال (نور) فى توتر :

- خزان الأكسجين لديك يكفى لست ساعات كاملة .. هل تعتقد أنها ستكفيك .

غمغم ، وقد بدأ عمله بالفعل :

- فلنتعشّم هذا يا (نور) .

نقل إليهم جهاز الاتصال صفيرًا منغومًا ، أطلقه من بين شفتيه ، فى محاولة لتخفيف توتره ، وهو يعمل على لحام الدفة ، فلاذ الجميع بالصمت بضع لحظات ، ثم لم تلبث (نشوى) أن غمغمت :

- هل تعتقدون أنه سيفعلها ؟!

أجابها (نور) فى حزم :

- إنه لها .

ثم التفت إلى (سلوى) ، مستطردًا :

- دعونا نؤد نحن عملنا .

التقطت (سلوى) رسالته ، فربتت على كف ابنتها ، وهى تقول فى حماس مفتعل :

نقل إليهم جهاز الاتصال صفيرًا منغومًا ، أطلقه من بين شفتيه ، فى محاولة لتخفيف توتره ، وهو يعمل على لحام الدفة ..

ـ أنت على حق .. سنستعيد كل ما سجّله كمبيوتر المكوك ، ونعمل على استخلاص كل المعلومات الممكنة منه .

مسحت (نشوى) دموعها ، والتقطت جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وأوصلته بكمبيوتر المكوك ، ثم راحت تضرب أزراره فى سرعة ..

ولم تمض دقائق معدودة ، حتى كانت قد انغمست فى الأمر بكل كيانها ، على نحو أزال كل قلقها وتوترها ..

بل وملأ نفسها بحماس عجيب ..

فالأمر كان يحتاج إلى عبقرية كمبيوترية بحق ..

لقد التقطت أجهزة المكوك كل ما حدث ..

وسجّلته لحظة فلحظة ..

بالصوت والصورة ..

وبكل الوسائل التكنولوجية المعروفة ، فى تلك الفترة من القرن الحادى والعشرين ..

ومما تم تسجيله ، راحت (نشوى) تبنى قاعدة معلومات متكاملة عن مقاتلات الغزاة الفضائيين ..

تصميمها ..

مادتها ..

توزيع الأسلحة على سطحها ..

سرعتها ..

قدرتها على المناورة ..

وحتى وزنها المحتمل ..

أما (سلوى) ، فقد انهمكت فى عمل آخر ، أكثر أهمية وخطورة ..

فى تحديد وفصل نبذبة غير مسموعة ، عن طريق دراسة ما سببته من ارتجاج ..

وكان هذا يعنى قياس درجة الارتجاج ..

ووزن مكوك الفضاء ..

وسرعته ..

وعوامل أخرى بلا حدود ، سيؤدى أدنى خطأ فى أقلها ، إلى إساءة تحديد الذبذبة المطلوبة ..

والفشل فى تحديد هوية الغزاة ..

وموقعهم من خريطة الكون ..

ولا أحد يدرى كيف مرّ الوقت بهذه السرعة ، ولكنهم انتبهوا جميعًا إلى صوت (أكرم) ، وهو يقول فى توتر :

ـ خمس ساعات ونصف الساعة .. أظنها أطول فترة قضاها أحدنا فى الفضاء الخارجى .. لابد أن يستعد (رمزى) للعودة ، حتى ولو لم يكن قد أتمّ إصلاح تلك الدفة ؛ فسينفد مخزونه من الأكسجين بعد نصف الساعة فحسب .

ضغط (نور) زر جهاز الاتصال الخارجى ، وهو يقول :

ـ (رمزى) .. هل تسمعنى ؟! إلى أين وصل عملك بالضبط ؟!

أجابه (رمزى) :

ـ أسمعك فى وضوح يا (نور) .. لقد أوشكت على الانتهاء .. أمامى أقل من ساعة واحدة .

هتف به (أكرم) :

ـ لن يمكنك هذا يا صديقى ، فالأكسجين لديك لن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتجّ المكوك ..

ارتجّ فى عنف شديد ، يفوق ما حدث فى المرة السابقة خمس مرات على الأقل .

وفى دهشة مذعورة ، هتفت (سلوى) :

ـ رباه ! هذا الارتجاج يوحى بـ ..

قبل أن تتم حديثها ، انطلقت من حلقها شهقة قوية ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، مع صرخة رعب أطلقتها (نشوى) ، وهى تحدق مع الباقين فى سرب كامل من مقاتلات الغزاة ..

سرب أحاط بهم إحاطة السوار بالمعصم ، على نحو لا يمكن الفكاك منه ..

قط .

* * *

٥ ـ فى الأسر ..

شىء ما يحدث ..

مركبة الزمن ترتج على نحو عنيف عجيب ..

هذا ما شعر به (نور) ، بالإضافة إلى حالة غريبة من الحذر ، سرت فى عضلاته وعروقه ، على نحو أعجزه عن النهوض ..

ولكن الا يعنى هذا أن آلة الزمن تعانى مشكلة من خلل ما فى برنامجها ، قد يؤدى إلى فشل رحلتها ..

أو حتى ضياعها فى نهر الزمن ؟!

ومن الضرورى أن ينهض لمواجهة هذه المشكلة .

وأن يصلح الخلل ..

وبأى ثمن ..

دارت الفكرة فى رأسه ، وحاول نقلها إلى حيِّز التنفيذ ، إلا أن ذلك الحذر ، الذى سيطر على جسده كله ، أعجزه عن النهوض من مقعده ، وكأن يدًا هائلة تضغط على صدره فى قوة ..

والعجيب أن ذهنه نفسه ، لم يعد كما كان ..

إنه يدرك أبعاد المشكلة ..

وحدودها ..

وخطورتها ..

ولكنه عاجز تمامًا عن اتخاذ أى إجراء ..

بل إنه حتى لا يبالى ..

حتى ولو تلفت مركبة الزمن كلها ..

أو ضاعت إلى الأبد ..

ماذا يهمّ ؟!

ودون وعى منه ، راحت الذكريات تنساب إلى عقله فى سرعة عجيبة ..

وكشلال قوى ، راحت تنهمر ..

وتنهمر ..

وتنهمر ..

* * *

لم يكن هناك ما يمكن فعله ، بأى حال من الأحوال ..

حتى لو كان (نور) هو أكثر أهل الأرض مهارة وخبرة ..

لقد ظهر سرب مقاتلات العدو بغتة ، وهو يحيط به إحاطة السوار بالمعصم ..

أو بمعنى أكثر دقة وحداثة ، ككرة تحيط بذرة فى مركزها ..

هذا لأن مقاتلات الغزاة كانت تحيط به من كل جانب ..

إلى يمينه ..

ويساره ..

فوقه ..

وتحته ..

أمامه ..

وخلفه ..

ولم يكن الأمر بحاجة إلى كثير من الذكاء ، ليدرك الجميع أن أسلحتها كلها كانت متأهبة تمامًا لإطلاق النار ، عند أول بادرة شك ..

ومن موقعه ، هتف (رمزى) :

ـ رباه ! هل ترون ما أراه يا رفاق ؟!

أجابه (أكرم) فى عصبية :

ـ وكيف يمكننا ألا نراه ؟

هتف (رمزى) :

ـ ما الذى سيفعلونه بنا ؟!

غمغم (نور) :

ـ لو أرادوا سحقنا لفعلوا .

كانت المقاتلات ثابتة جامدة فى الفضاء ، كما لو أنها تنتظر أول إشارة من المكوك ، لتطلق عليه نيرانها بلا رحمة ..

وفى حذر ، قال (نور) ، عبر جهاز الاتصال :

ـ (رمزى) .. اسمعنى جيدًا .. تحرك فى بطء ، وعد إلى المكوك .

أتاه صوت (رمزى) ، يجيب فى توتر :

ـ نفس ما خطر ببالى يا (نور) .

قالها ، وراح يتحرك فى بطء وحذر ، نحو حجرة معادلة الضغط ، فى نهاية المكوك فى حين ظلت مقاتلات الغزاة ساكنة صامتة ، وكأنما يراقبون ما يفعله ، بكل اهتمام الدنيا ، و ...

وفجأة ، انفصلت إحدى مقاتلات الغزو ..

وانقضت نحو المكوك ..

وصرخت (نشوى) :

ـ يا إلهى ! ماذا سيفعلون بنا ؟

قفزت يد (نور) بحركة تلقائية إلى أجهزة توجيه

المكوك ، ولكن قبل أن تبلغها أصابعه ، عبرت المقاتلة فوقه مباشرة ..

ثم توقفت بغتة ..

وفى هدوء ، راحت تسبح فوق المكوك مباشرة ، وكأنما ألصقتها به قوة خفية مجهولة ..

وعبر جهاز الاتصال ، هتف (رمزى) :

ـ ماذا يفعلون بالضبط يا (نور) ؟!

تمتم (نور) ، وهو يتابع حركة المقاتلات فى توتر بالغ :

ـ لست أدرى يا (رمزى) .. ربما ..

لم يكن قد أتمّ جوابه بعد ، عندما قاطعه (رمزى) ، صارخًا :

ـ رباه ! إنهم يستهدفوننى أنا يا (نور) .. إنهم ..

انقطع حديثه بغتة ، مع أزيز قوى ، نقله جهاز الاتصال ، فصرخت (سلوى) فى رعب :

ـ (رمزى) .. لا ..

ومع صرختها ، انطلقت المقاتلة بغتة مبتعدة ، فهتف (نور) :

ـ رباه ! لقد اختطفوه !!

وبحركة آلية غريزية ، ضغط أزرار مركبته .. واندفع المكوك خلف المقاتلة ..

والعجيب أن المقاتلات الأخرى لم تحرك ساكنًا ، حتى تجاوزتها مركبة الفريق ، فتبعتها فى سرعة ، وبمشهد يبدو معه كأن المكوك يجذبها إليه بمجال كهرومغنطيس خفى ، و ...

وارتجت مركبة (نور) فى شدة ، فهتفت (سلوى) مذعورة :

ـ يا إلهى ! احترس يا (نور) .. ربما كانوا ..

ومع كلماتها ، انشقّ الفضاء بغتة ، كاشفًا نجمًا ضخمًا ، انطلقت نحوه تلك المقاتلة ، التى اختطفت (رمزى) ..

وقبل حتى أن يدرك (نور) هذا ، كان قد عبر ذلك الشق العجيب بمكوك الفضاء الأرضى ..

وخلفه عبرت كل مقاتلات الغزاة ..

ثم أغلقَ ذلك الشق الفضائى خلفها ..

وعاد الهدوء يسود الفضاء ..

هدوء سرمدى ..

دائم ..

شامل ..

ومخيف ..

إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

بدا وجه وزير الدفاع شاحبًا ممتقعًا إلى أقصى حد ، وهو يندفع إلى مكتب رئيس الجمهورية ، فى الثالثة صباحًا ، هاتفًا :

ـ الغزاة هبطوا فى (أمريكا) و (اليابان) .

انتقل الشحوب إلى وجه الرئيس ، وهو يردد :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

لم تقو ساقاه على احتماله ، فترك جسده يهوى على مقعده ، وهو يقول :

ـ إذن فقد بدأ الغزو .

هزّ وزير الدفاع رأسه ، وهو يقول بأنفاس مبهورة :

ـ وليست بداية عادية .

سأله الرئيس فى توتر :

ـ ماذا تعنى ؟!

رفع الوزير يده بأسطوانة مدمجة صغيرة ، وهو يجيب :

ـ سترى بنفسك .

قالها ، وأسرع يدس الأسطوانة الصغيرة فى جهاز خاص ، فى حجرة الرئيس ، الذى رفع عينيه يتطلع إلى شاشة كبيرة مواجهة ، ظهرت عليها على الفور صورة للبيت الأبيض الأمريكى(*) ، وقد وُضِعَتْ على أرضية حديقته لوحة عملاقة ، كُتِبَ عليها بالأمريكية(**) :

ـ نحن نستسلم .. نريد السلام لا الحرب .

وحول اللوحة ، وقف الرئيس الأمريكى ، ونائبه ، وطاقم وزرائه ومساعديه ..

(*) البيت الأبيض : المقر الرسمى لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، وهو بناء عظيم فى العاصمة (واشنطن) ، يقع أمام ساحة لافاييت ، فى شارع (بنسلفانيا) ، وهو أقدم بناء رسمى فى (واشنطن) ، ولقد أرسيت قواعده عام ١٧٩٢ م ، وأول رئيس أقام فيه هو (جون آدمز) عام ١٨٠٠ م ، ولقد أحرقه الإنجليز عام ١٨١٤ ، فأعيد بناؤه ، وتم دهانه عندئذ باللون الأبيض ، ومنه اكتسب اسمه الشهير .

(**) من الناحية الرسمية ، تعتبر الأمريكية لغة مختلفة عن الإنجليزية .

وفى السماء ، بدت مقاتلات الغزاة ، وهى تدور وتحوم فى السماء ، كقطيع من النسور ، يحوم حول فريسة تحتضر ..

وعبر مكبرات صوت هائلة ، تنتشر في كل مكان ، قال الرئيس الأمريكي ، بصوت حمل الكثير من التوتر والانفعال ، وهو يتابع حركة المقاتلات :

ـ نحن لا نسعى للحرب والقتال .. لو أنكم تفهمون لغتنا كما نعتقد ، فلتعلموا أننا ننشد السلام .. السلام وحده .

راح يردّد كلماته مرات ومرات ، والمقاتلات الفضائية تدور وتدور فى السماء ، وكأنها لا تبالى بما تراه أو تسمعه ..

أو أنها تعلن استهتارها التام به ..

وبكل القيم الأرضية المعروفة ..

ثم فجأة ، تحوّل الحوم العشوائي إلى تشكيل منظم ، اصطفّت فيه المقاتلات ، على نحو أشبه برأس السهم ..

وهنا توقّف الرئيس الأمريكي عن كلماته ..

وخيم على البيت الأبيض صمت رهيب ..

بل يبدو وكأن (أمريكا) كلها قد حبست أنفاسها ، فى انتظار الخطوة التالية للغزاة المجهولين ، و ...

وفجأة ، انهمرت حزم الليزر كالمطر ..

وبلا مقدمات ، راحت تحصد الرئيس الأمريكى ، ومرافقيه ، وقادته ..

وحتى البيت الأبيض نفسه ..

وفى ذعر بلا حدود ، صرخ مذيع التلفاز :

ـ رباه ! لقد رفضوا السلام .. إنهم يهاجمون بلا رحمة .. اهربوا .. فروا بحياتكم .. إنهم يحصدون الجميع ..

ومع كلماته ، تفرّق ذلك التشكيل الشبيه بالسهم ، وانقضت المقاتلات الفضائية تنسف وتسحق وتحصد كل ما يعترض طريقها ، بلا شفقة أو رحمة ..

وصرخ المذيع ، وهو يعدو بكل قوته :

ـ اهربوا .. اهربوا ..

ثم أصابته حزمة من الليزر ، تلاشى جسده معها تمامًا ، قبل أن ينقطع البث دفعة واحدة ..

واتسعت عينا رئيس الجمهورية ، وهو يحدق فى وجه وزير الدفاع ، دون أن ينبس كلاهما ببنت شفة ..

كان الموقف أبلغ من أية كلمات ..
وأبشع من أى حديث ..
ولقد ضاعف الصمت والوجوم من هول الموقف ألف مرة ..
ورسم آثاره على وجهى الرجلين في وضوح ..
ولدقيقة أو يزيد ، لم ينبس أحدهما بحرف واحد ..
ثم كان وزير الدفاع هو أول من حطم جدار الصمت ، وهو يقول بصوت يموج بكل الانفعالات :
ـ الصورة نفسها تكررت فى (اليابان) .. أكثر من مليون قتيل ومصاب .. (واشنطن) و (طوكيو) محيا من الخريطة .. (نيويورك) و (يوكوهاما) تحولتا إلى أنقاض .. تلك المقاتلات الفضائية تسحق البنية الأساسية بلا هوادة .. الرعب لجتاح العالم كله .. الجميع أدركوا أن الاستسلام لن يفيد .
انعقد حاجبا الرئيس بشدة ، وهو يقول :
ـ هو القتال إذن .
هزّ وزير الدفاع رأسه ، وقلب كفيه ، قائلاً :
ـ لم يعد هناك بديل .
ثم زفر فى مرارة ، قبل أن يتابع :

ـ ربما كان الموت هو النتيجة الحتمية فى النهاية ، ولكن لا مفرّ من أن نقاوم ونقاتل ، من أجل حريتنا .
انعقد حاجبا الرئيس لحظات فى شدة ، قبل أن يقول فى حزم :
ـ ألم تنتبه إلى أمر مهم يا رجل ؟!
سأله الوزير فى توتر :
ـ وما هو يا فخامة الرئيس ؟!
أجابه الرئيس فى انفعال ، وهو يميل إلى الأمام :
ـ الغزاة هاجموا الدول التى قرّرت الاستسلام منذ البداية .. وهذا يعنى أنهم يدركون مسبقًا عدم وجود مقاومة .
سأله الوزير فى اهتمام :
ـ ماذا تعنى بالضبط يا سيادة الرئيس ؟!
أجابه فى حزم :
ـ أعنى أنهم مازالوا يواصلون سياسة تحطيم الروح المعنوية والنفسية لنا .. يهاجمون العزل والمستسلمين فحسب .. وسيلة حقيرة للسيطرة على الجميع .
هتف الوزير :

ـ رباه ! هذا صحيح يا سيادة الرئيس .
هبَّ الرئيس من خلف مكتبه ، وهو يقول :
ـ مازالوا يخشون المواجهة .. فى المرة السابقة هزموا نسورنا بتلك القطع الكهرومغنطيسية ، التى شوشرت على كل أجهزتهم الإليكترونية ، أما فى هذه المرة ، فلن يمكنهم هذا قط .. رجال البحث العلمى تعاونوا مع القوات الجوية ، وتوصَّلوا إلى وسيلة لإبطال مفعول تلك الكهارب .. وربما يعنى هذا أنه مازال أمامنا أمل .
انعقد حاجبا الوزير ، وهو يقول فى حزم :
ـ بالتأكيد يا سيادة الرئيس .. بالتأكيد .
دقَّ الرئيس سطح مكتبه بقبضته ، وهو يهتف فى حماس :
ـ هو القتال إذن .. فليستعد الجميع .. كل القوات .. سنقاتل حتى آخر رمق .. ولو أن أولئك الأوغاد الفضائيين سيحتلوننا حتمًا ، فليكن ثمننا غاليًا .
ورفع رأسه فى اعتداد ، مضيفًا :
غاليًا جدًا .

* * *

قشعريرة باردة كالثلج ، سرت فى أجساد الجميع ، عند قفزهم إلى طريق النجوم ، وهبَّت فى وجوههم تلك الرياح الحارة ، قبل أن ينتقلوا بغتة إلى بقعة أخرى من الفضاء اللانهائى ..
وفور الانتقال ، سطع فى وجوههم ضوء قوى مبهر ، أجبرهم على إغلاق عيونهم بشدة ، وهتفت (سلوى) :
ـ رباه ! ما هذا ؟! هل ألقوا بنا فى قلب الشمس ؟!
تلاشى الضوء فى سرعة ، ففتح جميعهم عيونهم ، و ..
وكانت مفاجأة ..
مذهلة ..
فأمامهم مباشرة ، كانت هناك أضخم سفينة فضاء شاهدتها عيونهم ، أو حتى صنعها خيالهم ..
سفينة أشبه بكوكب هائل كبير ، تسطَّح ثلثه السفلى ، الذى تراصَّت حوله دوائر مضيئة ، كل منها فى حجم مدينة كاملة ..
وعبر فجوات عديدة ، بالقرب من قاعدة تلك السفينة ، انطلقت أعداد هائلة من المقاتلات الفضائية ، لتستقبل القادمين ..

أكثر من مليون مقاتلة ، كما توحى النظرة الأولى ..

وكان هذا أكبر من أى تصوُّر ، خطر ببال أشدّ العلماء تشاؤمًا ..

عدد يكفى لاحتلال الأرض ..

بل المجموعة الشمسية بأكملها ..

وفى ذهول مبهور ، تمتم (أكرم) :

ـ يا إلهى .. ما الذى نسعى إليه بالضبط يا رفاق ؟! أيتصوَّرون أنه بإمكاننا أن نهزم شيئًا كهذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ لا تجعل الضخامة ترهبك يا رجل .

التفت إليه (أكرم) ، قائلاً فى عصبية :

ـ حقًا ؟! وماذا عن الكثرة ؟!

هتفت (نشوى) :

ـ كل هذا لا يعنينى .. إننى أريد زوجى .. أريد استعادته بأى ثمن .

زفرت (سلوى) فى توتر ، مغمغمة :

ـ أعتقد أننا سننضمّ إليه قريبًا .

قالتها ، فوجم الجميع ، وراحوا يحدقون فى فجوة كبيرة مضيئة ، تتجه نحوها مركبتهم مباشرة ، قبل أن

يقول (أكرم) فى عصبية :

ـ لماذا نتركهم يقودوننا هكذا كالنعاج ؟! لماذا لا نحاول الإفلات منهم ؟!

قالت (سلوى) فى توتر مستنكر :

ـ الإفلات ؟!

أما (نور) ، فرفع يديه عن أجهزة القيادة ، قائلاً :

ـ إننا لم نعد نتحكم فى المكوك .

هتف (أكرم) :

ـ من يفعل إذن ؟!

عقد (نور) ساعديه أمام صدره ، وأشار بيده إلى تلك الفجوة المضيئة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فهمهم (أكرم) :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

وفى بطء عجيب ، ووسط صفين من المقاتلات الفضائية ، راح مكوك الفضاء الأرضى ينساب فى بطء ، نحو تلك الفجوة المضيئة ، التى بدأت ملامحها تتضح أكثر فأكثر ، وبدا داخلها ممر واسع مصقول ، يمتدّ إلى مسافة كبيرة ، ويتسع لهبوط عشر مقاتلات متجاورة ..

وبنعومة مدهشة ، عبر المكوك تلك الممر ، وراح ينطلق فيه لمائتى متر تقريبًا ، تحيط به مقاتلات الغزاة ، حتى بلغ مساحة واسعة ، تتوسطها دائرة كبيرة ، هبط وسطها تمامًا ، قبل أن ينبعث من أجهزة اتصاله صوت (رمزى) ، وهو يهتف :

ـ (نور) .. هل تسمعنى ؟! هل تسمعوننى جميعًا ؟!

هتفت (نشوى) فى فرح :

ـ رباه ! إنه حى .. (رمزى) حى .. حمدًا لله .. حمدًا لله .

أما (نور) ، فقد اختطف بوق جهاز الاتصال ، صائحًا :

ـ أسمعك بوضوح يا (رمزى) .. أين أنت يا صديقى ؟! ماذا فعلوا بك ؟!

أجابه (رمزى) فى توتر :

ـ لست أدرى أين أنا يا (نور) .. إننى داخل تجويف كروى عملاق .. كل شىء هنا صالح لحياتنا .. الهواء والضغط والحرارة .. ولكننى أسبح داخل التجويف ، على نحو يؤكد أن الجاذبية تساوى صفرًا ..

سألته (نشوى) فى لهفة عصبية :

ـ كيف يبدو هؤلاء الأوغاد ؟!

أجابها بعصبية مماثلة :

ـ لست أدرى .

هتف (أكرم) فى حدة ، وهو يدير عينيه فيما حوله :

ـ ماذا تعنى بأنك لست تدرى ؟!

أجابه (رمزى) بنفس العصبية :

ـ أعنى أننى لم أر أحدهم ، حتى هذه اللحظة .. لقد جذبنى مجال مغنطيسى قوى ، وسحبنى خلفهم إلى طريق النجوم ، ومنه إلى هذه السفينة العملاقة ، التى ألقونى فى إحدى فجواتها العجيبة ، و ...

بتر عبارته بشهقة عصبية ، انخلع لها قلب (نشوى) ، وهى تهتف :

ـ ماذا حدث يا رمزى ؟!

أجاب فى توتر بالغ :

ـ الباب ينفتح .. هناك باب عند القاعدة .. إننى لم أنتبه إليه إلا الآن .. هناك ظل أيضًا .. يبدو أن أحدهم يقترب ، أو ...

انطلقت منه شهقة أخرى ، جعلت الدموع تتفجر بلا وعى ، من عينى (نشوى) ، وهى تصيح :

ـ ماذا هناك يا (رمزى) ؟! ماذا يفعلون بك ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ لا شىء .. لا شىء .. أنا بخير .. لقد عادت الجاذبية فجأة ، فسقطت أرضًا .

ثم سعل مرتين ، قبل أن يتابع فى عصبية :

ـ الباب انفتح عن آخره .. هناك شخص يدخل بالفعل .. آه .. إنه ليس ...

فى هذه المرة ، بتر عبارته فى حدة شديدة ، وصرخ :

ـ يا إلهى ! مستحيل ! لا يمكن أن ...

ثم دوت فرقعة مكتومة ، نقلها جهاز الاتصال ، قبل أن يسود صمت تام ..

صمت رهيب ، اتسعت معه عيون الجميع ، وانخلعت له قلوبهم ، و (نشوى) ترتجف فى هلع بلا حدود :

ـ رباه ! ماذا حدث ؟! ماذا حدث ؟!

مع آخر حروف كلماتها ، خرج من جهاز الاتصال صوت آلى ، يقول :

ـ أنتم الآن فى حضرة الإمبراطور .. غادروا مركبتكم فورًا .

هتف (أكرم) فى حدة :

ـ ذلك الوغد .. إنه ...

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ ذلك الوغد يتحدث العربية .. ألم تنتبه إلى هذا ؟!

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يقول :

ـ رباه ! هذا صحيح .. إنه مبرمج للتحدث بلغتنا !! كيف هذا يا (نور) ؟! كيف علموا أننا نتحدث العربية ؟!

أجابه (نور) فى حزم ، وهو يضغط زر فتح أبواب المكوك :

ـ من الواضح أنهم يعلمون الكثير .

هتفت به (سلوى) :

ـ رباه ! هل ستطيع أوامرهم وتغادر المكوك يا (نور) ؟!

أجابها فى صرامة وهو ينهض من مقعده :

- ما رأيك فى أن نبقى ، ويسحقنا شعاع ليزرى ، وتضيع فرصة عودتنا إلى الأرض تمامًا ؟! هل تفضلين أن نضحى بالأرض كلها ، فى سبيل تعنت زائف ؟!

لم تجب أسئلته ، وامتقع وجهها ، وهى تنهض من مقعدها ، وتتبعه مع الباقين ، إلى باب المكوك ، و (أكرم) يغمغم فى سخط ، وهو يتحسس مسدسه القابع فى حزامه :

- أقسم أن يدفعوا الثمن غاليًا .

غمغمت (نشوى) ، فى صوت أقرب إلى البكاء :

- ماذا فعلوا بزوجى ؟! ماذا فعلوا به ؟!

ربّت (نور) على كتفها ، متمتمًا فى حزم :

- استبشرى خيرًا يا بنيتى .. لو أنهم أرادوا قتله منذ البداية لفعلوا .

قالت (سلوى) ، فى حنق عصبى :

- ربما أرادوه فأر تجارب مثلنا .

غمغم (نور) فى صرامة :

- لم يحن وقت إصدار القرارات بعد .

قال (أكرم) فى سخرية ساخطة ، وهو يغادر المكوك خلفه :

- بالنسبة لمن ؟! نحن أم هم ؟!

أجابه (نور) فى حزم ، وهو يقف منتصب القامة ، أمام مكوك الفضاء :

- للطرفين .

وقف الأربعة جنبًا إلى جنب ، فوق امتداد أحمر ، أشبه ببساط من المعدن ، وغمغمت (نشوى) فى حدة :

- لو أنهم مسّوا شعرة واحدة من (رمزى) ، فأقسم أن ...

قبل أن تتمّ عبارتها ، أضىء مصباح قوى فى وجوههم بغتة ، على نحو أغشى أبصارهم ، فهتف (أكرم) فى حدة ، وهو يخفى وجهه بذراعه :

- ماذا يفعل بنا هؤلاء الأوغاد ؟!

ارتفع نفس الصوت الآلى مرة أخرى ، عبر مكبرات صوت قوية هذه المرة ، وهو يقول :

- اسجدوا أمام الإمبراطور .

صاح (أكرم) فى غضب :

ـ أى إمبراطور ؟!

لم يكد يطلق صيحته ، حتى انطفأت الأنوار فجأة ، وساد ظلام دامس ، هتفت خلاله (سلوى) :

ـ رباه ! ذلك الشىء الذى نقف فوقه يتحرك .. إنه ينقلنا إلى مكان آخر .

هتف (أكرم) :

ـ أو جحيم آخر .

أما (نور) ، فقد انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحاول اختراق الظلام ببصره ، وعقله يطرح عشرات الأسئلة ..

تُرى ما الذى يحدث هنا ؟!

من ذلك الإمبراطور ، الذى يتحدثون عنه ؟!

ما الذى يريده من الأرض ؟!

ثم لماذا هذا الظلام الدامس ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

كان عقله يبحث عن جواب لكل هذه الأسئلة ، عندما أضيئت الأنوار فجأة ..

وللوهلة الأولى ، أغلق الجميع عيونهم ..

ثم فتحوها ثانية ..

وكانت (سلوى) أول من هتف :

ـ مستحيل !

أما الآخرون ، فقد اتسعت عيونهم ، حتى بلغت أقصاها ..

فما رأوه أمامهم كان مذهلاً ..

بكل المقاييس .

* * *

٦ ـ العملاق ..

فرك رئيس الجمهورية عينيه في إرهاق ، وهو يتثاءب في قوة ، قبل أن يشير إلى وزير الدفاع بيده ، قائلاً في توتر :

ـ السادسة صباحًا ، ولم يحدث شيء ..

هزَّ وزير الدفاع رأسه ، في إرهاق مماثل ، وهو يقول :

ـ الجميع على أهبة الاستعداد طوال الوقت .

سأله الرئيس في عصبية :

ـ الرعب انتشر في العالم أجمع .. لا أنباء من (أمريكا) أو (اليابان) .. لم يعد أحد يعلم ماذا يحدث هناك .. الناس قبعوا في بيوتهم ، وأغلقوا أبوابهم عليهم ، وكأنها ستحميهم من الغزاة .. الأوتار كلها مشدودة عن آخرها ، وأولئك الأوغاد يتجاهلوننا تمامًا ، وكأنهم يسعون لتحطيم أعصابنا أكثر وأكثر ..

غمغم وزير الدفاع :

ـ أنا واثق من أن هذا ما يسعون إليه بالضبط .

زفر الرئيس ، متمتمًا :

ـ إنهم يجيدون هذه اللعبة تمامًا .

تمتم الوزير :

ـ للأسف .

ثم نهض من مقعده ، قائلاً :

ـ فخامة الرئيس .. أعلم أن الموقف متوتر للغاية ، ولكن من الضروري أن تحظى بقليل من النوم .

هتف الرئيس مستنكرًا :

ـ النوم ؟ في مثل هذه الظروف ؟! هل تعتقد أن بشريًا واحدًا ، في العالم كله ، سيحظى بلحظة من النوم الليلة .

أجابه الوزير في حزم :

ـ حتى ولو استيقظ العالم كله ، لابد أن تنام أنت يا فخامة الرئيس .. إننا نحتاج إلى ذهن متوقِّد وعقل يقظ ، عندما يجدّ الجد .. وحتى تحظى بهما ، في اللحظة المناسبة ، عليك أن تنام بعمق أولاً .

ثم وضع يده على كتف الرئيس ، مستطردًا في حزم أكثر :

ـ هذا واجبك نحو شعبك يا سيِّدي .

زفر الرئيس ، وهو يهزّ رأسه فى قوة ، مغمغمًا فى مرارة :

ـ ليتنى أستطيع أن أؤدّى واجبى ، تجاه هذا الشعب .

قال الوزير ، وهو يقوده إلى الاستراحة ، الملحقة بمكتبه :

ـ ليس أمامنا سوى أن نبذل قصارى جهدنا يا سيادة الرئيس ، أما الباقى ، فهو ...

قبل أن تنتهى كلماته ، انبعث ذلك الضجيج بغتة ..

انبعث فى قوة ، وعنف ، كما لو أن السماء قد تشقّت بأكملها ..

وكان هذا يعنى أن الغزو قد بدأ ..

وبمنتهى العنف ..

* * *

لدقيقة كاملة ، حدّق (نور) ورفاقه فيما أمامهم بذهول كامل ..

وكان الأمر يستحق بالفعل ذلك الذهول ..

فمنذ سمعت آذانهم عبارة السجود للإمبراطور ،

رسم عقل كل منهم صورة وهمية ، لما يمكن أن يبدو عليه ذلك الإمبراطور ..

إمبراطور الغزاة ..

بعضهم تصوّره مخلوقًا فضائيًا أخضر اللون ، أحمر العينين ..

أو كائنًا أشبه بالزواحف ..

والبعض الآخر تخيّله شبه آدمى ، ببشرة زرقاء ، أو حمراء ..

أو حتى وردية ..

ولكن المؤكد أن أحدًا منهم لم يتخيّل ما رأوه أمامهم قط ..

فمع استيعاب عيونهم للمشهد ، بدا أمامهم عرش عملاق ، يبلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار ، بعرض مترين ..

أما من يجلس فوقه ، فقد كان مذهلاً بحق ..

لم يكن بشريًا ..

أو حتى فضائيًا ..

بل لم يكن مخلوقًا حيًا على الإطلاق ..

كان شخصًا آليًا ..

بكل ما تحمله الكلمة من معان ..

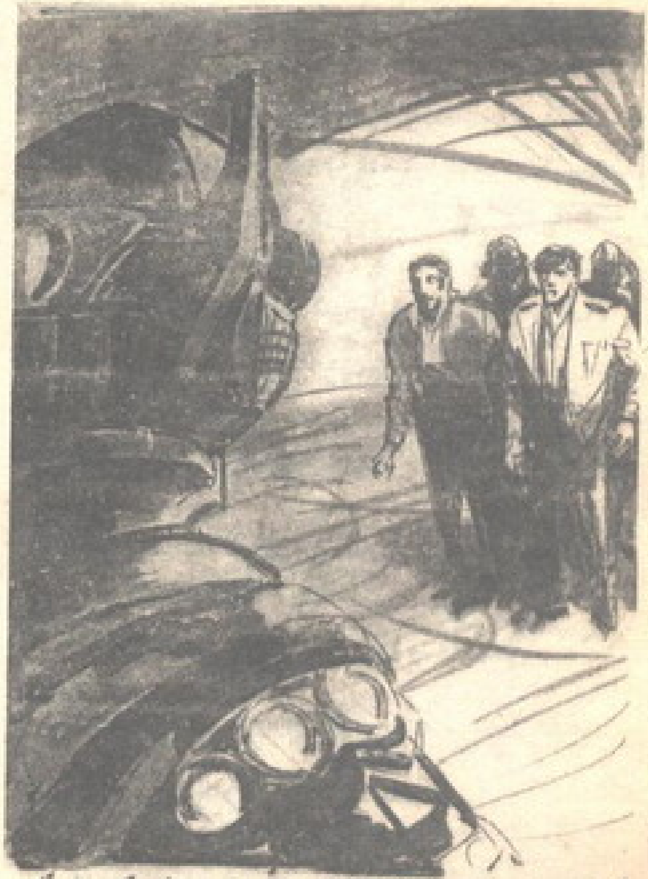

أما من يجلس فوقه ، فقد كان مذهلاً بحق .. لم يكن بشريًا ..
أو حتى فضائيًا .. بل لم يكن مخلوقًا حيًا على الإطلاق ..

شخص آلىّ ، يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار كاملة ، له رأس معدنى ، تتوسطه عين واحدة كبيرة ، تتحرك على نحو يؤكِّد أنها آلة تصوير أساسية ..

أما تكوينه ، فقد كان شبه آدمى ..

جسم ..

ذراعان ..

ساقان ..

وقدمان ..

وكلها من معدن لامع مصقول ..

أما تلك العين الواحدة ، فى منتصف الرأس ، فكانت موجَّهة نحوهم تمامًا ، فى نفس الوقت الذى ارتفع فيه ذلك الصوت الآلى ، يكرِّر :

ـ اسجدوا للإمبراطور .

هتف (نور) فى صرامة :

ـ السجود لله (سبحانه وتعالى) وحده .

كرَّر الصوت الآلى ، وكأنما لا يبالى بتعليق (نور) :

ـ اسجدوا للإمبراطور .

قال (أكرم) فى عصبية ، وهو يتحسَّس مسدسه فى حذر :

ـ ألم تسمع ما قاله قائدنا أيها الوغد ؟! السجود لله (سبحانه وتعالى) وحده ، وليس لبشرى ، أو حتى آلى .

تكرَّر الصوت :

ـ اسجدوا للإمبراطور .

تبادل الجميع نظرة عصبية متوترة ، قبل أن يقول (رمزى) فى حزم مباشر :

ـ كلا .. لن نفعل .

لم يكد ينطقها ، حتى انطلق صوت عنيف فى القاعة الواسعة ، أشبه بزمجرة ثائرة ، ثم انفتح بابان صغيران ، إلى جانبى العرش ، واندفعت عبرهما أجسام صغيرة ، أشبه بالبعوض(*) ، اتجهت كلها نحو أفراد الفريق وأجنحتها المعدنية تخفق بصوت مخيف ، وإبرها الممتدَّة من رءوسها تسعى للانغراس فى أجسادهم ..

(*) البعوض : حشرة من فصيلة (كيوليسيدى) ، من رتبة ذوات الجناحين ، توجد فى معظم دول العالم ، تثقب الأنثى الجلد ، وتدفع سائلها اللعابى داخله ، وتمتصّ دم الإنسان ، ودم كثير من الحيوانات ، وتضع البيض فى المياه الراكدة عادة ، وتسبب للإنسان العديد من الأمراض ، مثل : الملاريا ، والحمى الصفراء ، وغيرهما .

وتكرَّر الصوت بصرامة أكثر :

ـ اسجدوا للإمبراطور .

كان من الواضح أنها وسيلة للإرهاب والضغط ، و ...

وفى سرعة مدهشة ، استلّ (أكرم) مسدسه ، وصاح :

ـ اذهبوا إلى الجحيم أيها الأوغاد .

وانطلقت رصاصات مسدسه ..

وفى اللحظة نفسها ، انتزع (نور) مسدسه الليزرى من حزامه ، ودفع زوجته وابنته بعيدًا ، ليحميهما من ذلك البعوض الآلى القاتل ، وهو يهتف :

ـ ابتعدوا .

وانطلقت خيوط الأشعة من مسدسه ..

وبتلقائية مدروسة ، ألصق كل من (نور) و (أكرم) ظهره إلى ظهر الآخر ، وراحا يدوران حول نفسيهما ، وهما يطلقان مسدسيهما على البعوض الآلى ، فى حين رقدت (سلوى) و (نشوى) أرضًا ، والأخيرة تتمتم فى عصبية :

ـ مستحيل ! لا يمكن أن نحتمل هذا .

كانت رصاصات (أكرم) وخيوط أشعة (نور) تنسف تلك البعوض ، فى سرعة وعنف ، فتتناثر منه مادة زرقاء لزجة ، على جسديهما ووجهيهما ، وكل ما يحيط بهما ..

ولكن كل بعوضة تسقط ، يتم تعويضها ببعوضتين إضافيتين ، تندفعان عبر البابين الصغيرين ، على جانبى العرش ..

أما ذلك الآلى العملاق ، فقد ظلّ على عرشه الضخم ، يدير عينه الواحدة فيما يحدث ، وكأنه يدرس كل حركة وسكنة فى المكان ..

وكان من الواضح أن الانتصار على تلك الآليات شبه مستحيل ..

بل هو مستحيل تمامًا ..

لذا ، فقد هتف (نور) فى رفاقه :

ـ تراجعوا .. سنعود إلى المكوك .

صاحت (نشوى) فى رعب :

ـ كيف ؟! إننا لا ندرك حتى أين هو .

صرخ (أكرم) :

ـ فلنبتعد عن هذا الجحيم بأى ثمن .

انطلقت صرخته ، وهو يواصل إطلاق رصاصاته ، ويتراجع مع (نور) والباقين ، عبر ذلك الممر المتحرك ، الشبيه بالبساط ..

ولكن فجأة ، انطفأت الأنوار ..

وساد الظلام الدامس ..

وتحرك البساط مرة أخرى ، فى الاتجاه العكسى ، مع دوى رصاصات (أكرم) ، وأزيز خيوط أشعة مسدس (نور) الليزرية ، وخفقان الأجنحة الآلية ..

وصرخت (نشوى) فى رعب :

ـ لا فائدة .. لا فائدة .

صاح (نور) :

ـ لا تقولى هذا .. لا تقوليه أبدًا .

انطلقت تعدو فوق البساط المعدنى ، صائحة فى رعب :

ـ ماذا أقول إذن ؟! ماذا أقول ؟!

مع آخر حروف صيحتها ، أضيئت الأنوار مرة أخرى بغتة ..

وفى هذه المرة ، كان الجميع داخل نفس القاعة

الضخمة ، التى استقرّ وسطها مكوك الفضاء (ابن ماجد) ..

ومع مواصلته إطلاق أشعته ، ونسف البعوض الآلى ، هتف (نور) :

ـ أسرعوا .. إلى المكوك .. أسرعوا .

هتفت (سلوى) ، وهى تعدو بكل قوتها نحو المكوك .

ـ ولكن محركاته لم تعد تعمل .

صاح بها (أكرم) ، وهو يواصل إطلاق رصاصاته بدوره :

ـ المهم أن نحتمى به .. لن يمكننا أبدًا أن ...

انطلقت من حلقه صرخة ، تبتر عبارته الأخيرة ، عندما أصابت إبرة بعوضة آلية ذراعه ، فتدفقت منه الدماء الساخنة ، وهو يصرخ :

ـ أيها الأوغاد .

وثب (نور) إليه ، ودفعه بكل قوته نحو باب المكوك ، هاتفًا :

ـ أسرع يا صديقى .. أسرع .

دفع (أكرم) جسده إلى مدخل المكوك ، وهو يواصل إطلاق النار ، هاتفًا فى عصبية شديدة :

ـ إنهم يتكاثرون بسرعة مخيفة يا (نور) .. سيظفرون بنا حتمًا .

أجابه (نور) فى صرامة ، وهو يطلق أشعته بيمناه ، ويدفعه نحو الباب بيسراه فى قوة :

ـ ليس حتمًا .

قفزت (سلوى) و (نشوى) داخل المكوك ، ولحق بهما (أكرم) ، وهو يهتف :

ـ ترى هل ستدور محركاته ؟!

صاح (نور) ، وهو يقفز داخل المكوك بدوره :

ـ أتعشّم هذا .

وثب (أكرم) فى سرعة إلى مقعد مساعد القبطان ، وضغط أزرار تشغيل المحركات ، فزأر المكوك فى قوة ، ثم اشتعلت النيران من أنابيب العادم فى مؤخرته ، على نحو جعل (نور) يهتف ، وهو يواصل إطلاق النار على الآليات ، التى تحاول عبور باب المكوك ، قبل أن يكتمل إغلاقه :

ـ رائع .. إنه يعمل .

صاحت (نشوى) :

ـ وماذا عن (رمزى) ؟! إننا لن نتركه هنا !

عضّ (نور) شفتيه فى مرارة ، هاتفًا :

ــ إننا نحمل مصير الأرض كله بين أيدينا يا (نشوى) .

صرخت فى ألم :

ــ لن نتركه هنا .

كانت صرختها تتردد فى المكوك ، عندما هتف (أكرم) فجأة فى شحوب :

ــ ربّاه ! (رمزى) !

استدارت عيونهم جميعًا إلى حيث ينظر ، عبر الواجهة الأمامية للمكوك ، وانتفض جسد (نشوى) كله فى عنف ، وهى تصرخ :

ــ (رمزى) .. لا .. لا ..

فوسط القاعة الضخمة ، وعلى بعد ثلاثة أمتار من المكوك ، كان (رمزى) يقف حائرًا مرتبكًا مذعورًا ، وأسراب البعوض الآلى تهاجمه فى وحشية ..

وبكل غضب الدنيا ، صرخ (نور) :

ــ يا للأوغاد !

ثم استلّ مسدسه الليزرى مرة أخرى ، واندفع نحو باب المكوك ، فى نفس اللحظة التى هاجم فيها البعوض

(رمزى) ، وراح يغرس إبره فى جسده بمنتهى الشراسة ..

وانطلقت صرخات (رمزى) ، تجمع ما بين الذعر والألم والارتياع ، وامتزجت بصرخات (نشوى) و (سلوى) ، وهتاف (أكرم) المستنكر ، وهو ينتزع مسدسه ، ويعدو نحو الباب بدوره ..

ولكن باب المكوك لم يستجب له أو لـ (نور) ..

لقد اشتعلت المحركات بالفعل ، وبدأ نظام الأمن الآلى عمله ..

وهذا يعنى استحالة فتح الأبواب ..

واحتقن وجه (نور) فى شدة ، فى حين غمغم (أكرم) فى ذهول مستنكر :

ــ ربّاه هل سيلتهمونه أمامنا ، ونحن عاجزون عن إنقاذه ؟!

صرخت (نشوى) مرة أخرى :

ــ مستحيل !! اتركوه أيها الأوغاد .. اتركوه .

ولكن البعوض الآلى تكالب على (رمزى) ، وراح يمزّقه إربًا بلا هوادة ..

بلا شفقة ..

أو رحمة ..

أمام عيني زوجته ..

وقلبها الممزّق ..

وكيانها المنهار ..

وبكل مرارة الدنيا ، عضَّ (أكرم) شفتيه ، وترك دموعه تنهمر على وجهه ، وهو يتمتم :

ـ يا للبشاعة ! يا للبشاعة !!

وانهارت (سلوى) باكية ، في حين اتسعت عينا (نشوى) ، وسقط فكها السفلي في ذهول ، وتجمَّدت الدموع في عينيها ..

أما (نور) ، فقد احتقن وجهه ، حتى كادت الدماء تتفجّر من عينيه ، وهو يقف في مكانه جامدًا كتمثال من رخام ، قبل أن يستدير في آلية عجيبة ، ويتجه إلى مقعد قيادة المكوك ، ويجلس فوقه ، ويربط حزامه في إحكام ، قائلاً :

ـ اربطوا أحزمتكم .. سننطلق .

حدّق (أكرم) فيه لحظة في استنكار ، إلا أنه لم يلبث أن نهض إلى مقعد مساعد القبطان ، واستعدّ للإقلاع ، في حين قادت (سلوى) ابنتها في صمت إلى

مقعدها وأحكمت رباطه حول وسطها ، ثم جلست على مقعدها هي ، وألقت نظرة على مقعد (رمزى) الخالي ، قبل أن تبكي في حرارة ، وهي تربط حزام مقعدها ..

وفي اللحظة نفسها ، انفصل البعوض الآلي عن جسد (رمزى) الممزّق ، وانقضَّ في وحشية على المكوك ، وراح يرتطم به في عنف ..

ولكن (نور) ارتفع بالمكوك ، ودار به حول نفسه ، قبل أن ينطلق به عبر ذلك الممر الطويل ..

وخلفه ، انطلق سرب البعوض الآلي ..

ولكن (نور) زاد من سرعته أكثر ، وأكثر ، وهو يقول لزوجته في حزم :

ـ ابحثي عن تلك الذبذبة .. دعينا نعد من حيث جئنا .

غمغمت من وسط دموعها :

ـ سأفعل .

وبآلية حزينة ، ومجهود عنيف ، حاولت به محو مشهد مصرع (رمزى) البشع عن ذهنها ، راحت أصابعها تضرب أزرار الكمبيوتر ..

وفى نفس اللحظة ، التى تجاوز فيها (نور) الممر ، وانطلق إلى الفضاء الخارجى ، هتفت هى :

ـ لقد توصلت إليها .

صاح ، وهو يراقب شاشات المكوك ، التى بدت عليها مقاتلات الغزاة ، وهى تندفع خلفه :

ـ وماذا تنتظرين ؟!

غمغمت :

ـ على بركة الله .

وضغطت زرًا أخيرًا ..

فى نفس اللحظة التى انقضت فيها مقاتلات الغزاة ..

وارتجّ المكوك كله فى عنف ..

ثم وثب عبر طريق النجوم ..

كانت الوثبة قوية هذه المرة ، حتى إن أجسادهم جميعًا قد ارتجفت بشدة ، وبدا لهم وكأن أبواب الجحيم كلها قد انفتحت فى وجوههم ، قبل أن يختفى كل ما حولهم ويمتدّ فضاء سرمدى هادئ خال ..

وفى انفعال ، غمغم (أكرم) :

ـ أخيرًا .

أجابه (نور) ، فى لهجة بدت وكأنها لا تحمل أية انفعالات :

ـ لقد عدنا إلى تلك البقعة ، من الفضاء البعيد .

تمتمت (سلوى) :

ـ وبقى أن نعود إلى عالمنا .

أضاف (أكرم) :

ـ بكل ما لدينا من معلومات .

زفر (نور) ، مغمغمًا :

ـ ويا له من ثمن !

قالها ، وضغط أزرار المكوك ، لينطلق عائدًا إلى الأرض ..

ولكن المكوك انتفض فى قوة ..

ثم توقّف تمامًا ..

وراح يسبح فى فضاء لا نهائى ..

على بُعد عدة سنوات ضوئية من الأرض ..

ومن الأمل ..

الأخير ..

* * *

« إنذار زائف .. »

نطقها وزير الدفاع فى توتر بالغ ، جعل رئيس الجمهورية يعود إلى مقعده ، متمتمًا فى عصبية :

ـ ما الذى يفعلونه بنا بالضبط ؟!

ثم لوّح بذراعه كلها ، متابعًا :

ـ لقد سجلت الآلات ضجيجًا قويًا ، أوحى لنا جميعًا بأن الغزو قد بدأ ، ولكن شيئًا لم يحدث ..

قال الوزير فى ضيق :

ـ إنها لعبة الشد والجذب .

تطلّع إليه الرئيس فى تساؤل ، فتابع متوترًا :

ـ إنذارات زائفة ، الواحد تلو الآخر ، تعمل على شد أعصاب الجميع مرة بعد الأخرى ، بحيث تصبح على حافة الانهيار ، عندما تأتى الضربة الرئيسية .

انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يحدّق فى وجه الوزير ، قبل أن يقول فى حدة :

كيف يحارب هؤلاء الأوغاد ؟ إنهم يقاتلون الروح المعنوية وحدها .

بدت علامات التفكير العميق على وجه الوزير ، وهو يقول :

ـ ربما لأنه ليس لديهم سوى هذا .

سأله الرئيس فى عصبية :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

أشار الوزير بيده ، مجيبًا :

ـ إنه احتمال وارد بشدة ، فمن الناحية التكنيكية البحتة ، وكأسلوب استراتيجى محترف ، ينبغى على المرء أن يبذل قصارى جهده لتحطيم الروح المعنوية للخصم ، قبل بدء المواجهة ، وكلما أدرك الضعف الفعلى لقواته ، أمام قوات الخصم ، زاد من تركيزه على الحرب المعنوية والنفسية ، ولقد لاحظنا جميعًا كيف أنهم يبذلون جهدًا شديدًا ، فى سبيل تحطيم معنويات كل من قرّروا المقاومة ، وهذا قد يعنى أن المواجهة المباشرة ليست مضمونة النتائج .

سأله الرئيس فى دهشة :

ـ بعدما فعلوه بسربنا ، وفى (أمريكا) و (اليابان) ؟!

أجابه الوزير :

ـ (أمريكا) و (اليابان) استسلمتا دون مقاومة ،

وسرينا لم يجد الفرصة للقتال ، ولم يكن يدرى شيئًا عن خصمه ، فى المواجهة الأولى .. أما الآن ، فالأمر يختلف تمامًا .

اعتدل الرئيس فى مجلسه ، وقال :

ـ إذن فأنت تعتقد أن مقاتلينا يمكنهم مواجهة الأمر .

أجابه فى حزم :

ـ إلى حد كبير .

تألقت عينا الرئيس ، وهو يقول :

ـ عظيم .. لقد أنعشت الأمل فى قلبى مرة أخرى يا رجل .

قال الوزير بابتسامة باهتة :

ـ الأمل فى الله (سبحانه وتعالى) موجود دائمًا يا فخامة الرئيس .

نهض الرئيس من خلف مكتبه ، وهو يقول فى حزم وحماس :

ـ بالطبع أيها الوزير .. وهذا ما يمنحنا الدافع القوى للمقاومة ، وتحدّى الخوف ، و ...

انبعث ذلك الضجيج بغتة ، ليبتر عبارة الرئيس ،

الذى انعقد حاجباه فى شدة ، متمتمًا فى عصبية :

ـ ما هذا ؟! إنذار زائف آخر .

أجابه الوزير فى توتر ، وهو يتحرك نحو جهاز كمبيوتر الأمن ، فى ركن حجرة مكتب الرئيس الأساسية :

ـ هذا محتمل يا فخامة الرئيس ، إلا أن الضجيج كان أكثر قربًا هذه المرة ، حتى لقد بدا لى وكأنه ..

لم يحاول إتمام عبارته ، فتطلّع إليه الرئيس لحظة ، قبل أن يكمل فى توتر :

ـ وكأنه على مقربة من هنا .

وافقه الوزير بإيماءة من رأسه ، وقال فى اقتضاب :

ـ بالضبط .

ازداد انعقاد حاجبى الرئيس ، وهو يدير عينيه إلى نافذة الحجرة ، و ...

وفجأة ، عبرت واحدة من مقاتلات الجيش المصرى أمامه ، فى سرعة بالغة ، وكأنها تطارد شيئًا ما ..

وفى اللحظة التالية مباشرة ، ظهر ذلك الشىء ..

مقاتلتان من مقاتلات الغزاة ، تقومان بمناورة واسعة ، فوق القصر الجمهورى مباشرة ، تطاردهما ثلاث من مقاتلاتنا الأرضية ..

وفى انفعال جارف ، هتف وزير الدفاع :

ـ ابتعد يا فخامة الرئيس .. أسرع إلى المخبأ النووى فى القبو .

فى نفس اللحظة ، التى تحرك فيها الرئيس ، كانت المقاتلات الأرضية الثلاث تنقضّ على مقاتلتى الغزاة ..

ثم تطلق صواريخها نحوهما ..

ومع انطلاق الصواريخ ، انفصلت المقاتلتان بسرعة مدهشة ، فصنعت إحداهما من نفسها هدفًا سهل المنال ، لجذب صواريخ المقاتلات الأرضية الثلاث ..

فى نفس اللحظة التى انقضّت فيها المقاتلة الثانية ، على القصر الجمهورى مباشرة ..

وصرخ وزير الدفاع مرّة أخرى :

ـ أسرع يا فخامة الرئيس .. ستطلق نحونا أشعتها الساحقة ..

ولكن المقاتلة الثانية لم تفعل هذا ..

لم تطلق حزمة أشعة واحدة ..

لقد انقضت بجسمها كله على القصر الجمهورى ..

ونحو حجرة مكتب الرئيس الأساسية مباشرة ..

وكان الانفجار مدويًا ..

وعنيفًا ..

للغاية .

* * *

٧ ـ انهيار ..

« هل انتهى أمرنا ؟! »

ألقى (أكرم) السؤال فى توتر بالغ ، بعد أن توقفت محركات المكوك ، وراح يسبح فى الفضاء بلا هدى ، فهزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لم يحن الوقت بعد لفقدان الأمل .. لقد توقفت المحركات لسبب ما حتمًا ، وكمبيوتر الأعطال يدرس الأمر الآن ، وسيبلغنا بالنتائج بعد قليل .

غمغمت (نشوى) كالذاهلة :

ـ لا شىء يهم .. لقد قتلوا (رمزى) .

ثم ترقرقت عيناها بالدموع ، وهى تكمل فى انهيار :

ـ قتلوه بمنتهى الوحشية .. الأوغاد .

وانفجرت باكية فى عنف ..

وبلوعة شديدة ، حلّت (سلوى) حزام مقعدها ، وهبّت تحتوى ابنتها بين ذراعيها ، هاتفة :

ـ إنه قدره يا بنيتى .. قدرنا جميعًا أن نخوض هذا الجحيم .. لا تبكى يا بنيتى .

قال (نور) فى حزم ، وهو يعض شفتيه فى مرارة :

ـ اتركيها تبكى يا (سلوى) .. اتركيها تفرغ دموعها وانفعالاتها .. لقد تجاوزت صدمتها الآن فحسب .

انهارت (نشوى) ، وهى تبكى على كتف أمها ، فى حين غمغم (أكرم) فى تأثر :

ـ لقد احتملت ما يفوق طاقة البشر .

صمت (نور) لحظة ، ليزدرد لعابه ، ويقاوم رغبة عارمة فى البكاء ، قبل أن يقول بصوت مبحوح :

ـ لقد سمعت ما قالته (سلوى) .. إنه قدرنا جميعًا .

زفر (أكرم) فى عصبية ، مغمغمًا :

ـ أنت على حق .. كان يمكن أن نلحق به جميعًا ، لو أن تلك المقاتلات قد تبعتنا إلى هنا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، عندما نطق (أكرم) عبارته الأخيرة ، وتراجع فى مقعده ببطء ، جعل هذا الأخير يسأله متوترًا :

ـ ماذا هناك ؟!

لوَّح (نور) بسبابته ، وهو يحكّ ذقنه بيده ، قائلاً :

ـ إنني أتساءل : لماذا لم تتبعنا تلك المقاتلات إلى هنا ؟!

هزّ (أكرم) كتفيه ، وقال :

ـ ربما تصوّرت أننا قد قفزنا مباشرة إلى عالمنا .

هزّ (نور) رأسه نفيًا في حزم ، وقال :

ـ مستحيل ! أجهزتنا قادرة على تحليل ذبذبة الانتقال ، وتحديد المسار المحتمل ، عبر طريق النجوم ، وهذا المسار مسجل لديهم حتمًا ؛ لأنهم يرتادونه ، في كل مرة ينتقلون فيها إلى عالمنا ، ممّا يجعل تحديده بسيطًا ومباشرًا .

بدت الحيرة على وجه (أكرم) ، وهو يقول :

ـ ربما ينتظرون قرارًا من شخص ما ، أو شيء ما .. إمبراطورهم الآلي مثلاً .

قال (نور) معترضًا :

ـ أي قرار هذا .. لقد نجحنا في الهروب منهم ، والطبيعي أن يطاردونا على الفور ..

غمغم (أكرم) :

ـ ربما كانوا ...

لوّحَ (نور) بسبّابته ، وهو يحك ذقنه بيده ، قائلاً :
ـ إنني أتساءل : لماذا لم تتبعنا تلك المقاتلات إلى هنا ؟!

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع أزيز متصل من كمبيوتر الأعطال ، فاستدار إليه الجميع ، وهتف (نور) فى دهشة ، وهو يقرأ ما كتب على شاشته :

ـ الوقود الأساسى نفد ؟! ولكن هذا مستحيل !

تمتمت (سلوى) ، وهى تحتضن ابنتها فى حنان :

ـ ربما يستهلك القفز عبر طريق النجوم طاقة ضخمة .

قال (نور) فى توتر :

ـ وكيف لم يكشف الكمبيوتر هذا ، منذ اللحظة الأولى ؟! بل لماذا استغرق كل هذا الوقت لكشفه الآن ؟! المفترض أنها معلومة أولّية !

قالت (سلوى) :

ـ ربما أصابه خلل ما .

سألها فى سرعة :

ـ لماذا ؟! ما السبب فى إصابته بذلك الخلل ؟!

تبادل الجميع نظرة حائرة متوترة ، وهمّت (سلوى) بقول شىء ما ، لولا أن صدر أزيز آخر عن الكمبيوتر ، وارتسمت على شاشته عبارة تقول :

ـ هل يتم الانتقال إلى خزان الوقود الاحتياطى ؟!

ضغط (نور) أحد الأزرار ، وهو يغمغم ، وكأنما يحدّث الكمبيوتر :

ـ وهل لدينا بديل آخر ؟!

اشتعلت المحركات مرة أخرى ، وراح (نور) يقود المكوك ، لينطلق به عبر طريق النجوم ، عائدًا إلى عالمه ، ورأسه يحمل ألف ألف سؤال ..

ولكن الشىء الوحيد الذى لم يدركه ، ولم يخطر بباله أو ببال رفاقه ، هو أن ذلك العالم ، الذى يعودون إليه ، ليس هو نفسه الذى غادروه ، عندما بدأت مهمتهم هذه ..

لقد صار عالمًا مختلفًا ..

إلى حد كبير ..

ومخيف ..

* * *

بدا وجه (أشرف لبيب) ، ضابط المخابرات المصرى ، شاحبًا ممتقعًا بشدة ، وهو يدلف إلى الحجرة ، التى تم احتجاز (مشيرة) فيها ، قائلاً :

ـ معذرة يا سيدة (مشيرة) .. لقد استغرق الأمر وقتًا طويلاً للغاية .

صاحت به فى حدة :

- أى أمر هذا ؟! إنكم تحتجزوننى هنا ، منذ أكثر من اثنتى عشرة ساعة ، وهذا أمر غير قانونى ، وغير ...

قاطعها بصوت أكثر شحوبًا فى وجهه :

- لقد اغتالوا الرئيس .

بترت عبارتها دفعة واحدة ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، فى ارتياع جارف ، وهى تهتف :

- اغتالوه ؟! يا إلهى ! من تقصد بقولك هذا ؟!

أشار بسبابته إلى سقف الحجرة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فامتقع وجهها ، وغمغمت :

- يا إلهى ! يا إلهى !!

مال نحوها ، قائلاً فى لهجة تشف عن أهمية وخطورة الأمر :

- إننا نحتاج إليك .

قالت بدهشة :

- إلىّ أنا ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم ..

ثم راح يتحرك فى الحجرة بتوتر ، متابعًا :

- خبر اغتيال الرئيس ، وعدد من رؤساء جبهة المقاومة ، فى عدة دول مختلفة ، أصاب العالم برعب بلا حدود ، وانهارت الروح المعنوية تمامًا ، حتى صارت المقاومة مستحيلة .

هتفت مستنكرة فى ذعر :

- هل سنستسلم ؟!

صاح فى حزم :

- مستحيل !

ثم أضاف بصوت يموج بالانفعال :

- إننا نحتاج إليك ، وإلى جريدة أنباء الفيديو ، وكل وسائل البث الدولى ، عبر الأقمار الصناعية ، لتوجيه أكبر حملة معنوية ، تشمل الكوكب كله .. نحتاج إلى أسلوبك الحماسى ، لبث القوة فى النفوس المنهارة .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يكمل :

- باختصار .. إنكِ الآن درع المقاومة الأوّل يا سيِّدة (مشيرة) .

حدّقت (مشيرة) فى وجهه بضع لحظات مشدوهة ، قبل أن تغمغم :

- هل أدركتم الآن أن الحرية والصراحة وحدهما ، هما الطريق إلى النصر ؟!

قال فى عصبية :

- أهذا وقت الانتقام ؟!

هتفت :

- مطلقًا .

ثم اتجهت نحو الباب فى حزم ، متابعة :

- ابعث فى طلب مساعدىّ ، وأفرج عن آلات التصوير والبث .. سنبدأ حملة لاستعادة الروح ..

وتوقفت لحظة ، قبل أن تضيف بحزم أكبر :

- أو كما يحلو لى أن أطلق عليها .. حملة البعث .

واندفعت لتؤدى دورها ..

على أكمل وجه ..

* * *

اتسعت عيون أفراد الفريق فى ارتياع ، وهم يستمعون إلى القائد الأعلى ؛ بعد عودتهم إلى الأرض ، وهو يروى لهم ما أصاب رئيس الجمهورية ووزير الدفاع ، حتى انتهى ، قائلاً :

- كانت ضربة قذرة ، استشهد بسببها أفضل رجلين

فى (مصر) كلها ، وتحطمت معها الروح المعنوية لشعوب العالم كلها ، وصار الجميع يترقبون الغزو فى أية لحظة .. المخابئ النووية امتلأت عن آخرها ، والهجرة إلى الريف بلغت حدًا ، أغلقتْ بسببه الطرق كلها ، والمحال أغلقت أبوابها ، كما لو أن الحياة قد توقفت تمامًا فى (مصر) .

تمتمت (سلوى) مبهوتة :

- رباه ! إذن فقد كانت مهمتنا بلا طائل .

هتفت (نشوى) فى مرارة ، ودموعها تغمر وجهها :

- ولكننا فقدنا (رمزى) .

هزّ القائد الأعلى رأسه ، قائلاً :

- مهمتكم لم تكن أبدًا بلا طائل .. لقد عدتم بالكثير من المعلومات .

ثم عضّ شفتيه ، مكملاً :

- ولكنها معلومات مخيفة للأسف .

تنحنح (نور) ، قائلاً :

- ربما ليس إلى هذا الحد .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ أى حد يا (نور) ؟! لقد شاهدتم كوكبًا فضائيًا ، وملايين من المقاتلات ، وأشخاصًا آلية عملاقة .. كيف يمكننا مواجهة كل هذا ؟!

قال (نور) فى حزم :

ـ يجب أن نقاوم على كل حال يا سيِّدى .

أومأ القائد الأعلى برأسه ، وهو يتمتم :

ـ أنت على حق .. يجب أن نقاوم .

ثم هزّ رأسه ، قبل أن يضيف :

ـ حتى ولو فنينا جميعًا .

أجابه (أكرم) فى عصبية :

ـ بناء على ما فعله أولئك الأوغاد ، أعتقد أننا سنفنى على أية حال .

تمتمت (نشوى) فى حزن مرير :

ـ ونلحق بـ (رمزى) .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يشير إليها بسبابته ، وهمّ بقول شىء ما ، ولكن أزيزًا انطلق من جهاز الهولوفيزيون فجأة ، فاعتدل فى مقعده ، قائلاً فى انفعال واضح :

ـ لقد بدأت حملة البعث .

بدت الدهشة على وجوه الجميع ، وتساءل (أكرم) :

ـ أى بعث ؟!

أجابه القائد الأعلى ، وهو يشغل جهاز الهولوفيزيون :

ـ إنها حملة مكثفة ، لاستعادة الروح المعنوية المنهارة يا (أكرم) ، تقوم بها زوجتك .

هتف (أكرم) :

ـ (مشيرة) ؟!

أجابه القائد الأعلى فى احترام :

ـ نعم .. (مشيرة محفوظ) .. أكثر صحفيات (مصر) احترامًا ، وتأثيرًا فى الجماهير ، فى كل شعوب الأرض .. لك أن تفخر بها يا رجل .

شدّ (أكرم) قامته ، وتطلّع إلى شاشة الهولوفيزيون ، التى نقلت صورة مجسمة ثلاثية الأبعاد لزوجته ، وهى تقف وسط أكبر ميادين (القاهرة) الجديدة ، وهو يقول :

ـ إننى أفخر بها بالفعل يا سيِّدى .

ألقى قوله ، ثم استمع مع الجميع ، بكيانهم كله ،

إلى (مشيرة) ، وهى تهتف فى حماس ، يتم بثه إلى كل أنحـاء العـالم ، عبر أقمـار صناعيـة للترجمـة الفورية ، بكل اللغات المعروفة :

ـ سيداتى سادتى ، فى كل بقاع الأرض .. فى كل ركن حـر من العالم .. يا كل مواطن ينتمـى بجسده وعقله وكيانه إلى كوكبنا .. هنا (مشيرة محفوظ) ، تتحدث إليكم من (القاهرة) الجديـدة .. مـن قلـب (مصر) النابض بالأمل والحزم والعزم ، والإصرار على الكفاح والمقاومة ، مهما بدت الصورة قاتمـة ، داكنة ، كئيبة ، ومهما بدا العدو قويًا قاسيًا شرسًا .. انهضـوا معـى مـن يأسكم .. لا تستسلمـوا أبـدًا .. لاتنساقوا إلـى مـا يدفعكم إليـه عدوكـم الغـادر .. لاتستكينوا إلى محاولاتـه القـذرة لتحطيم نفوسكم ومعنويـاتكم .. انهضـوا ، وقـاوموا ، وقـاتلوا .. لاتسمحوا لـه أبـدًا بالاستيلاء علـى كوكبكـم ، وحاضركم ، ومستقبلكم ، دون أن يكون الثمن فادحًا غاليًا بالنسبة له .. استعيدوا معى كل ما حدث منذ البداية ، وستدركون أن العدو ليس قويًا كما يتظاهر .

تمتمت (سلوى) :

ـ لأنك لم ترى ما رأيناه .

أشـار إليها القـائد الأعلـى بـالتزام الصمت ، وهو يستمع بكل اهتمام إلى (مشيرة) ، التى بدت أشبه بصورة مجسَّمة للحماس والأمل ، وهى تهتف :

ـ ستدركون أن العدو يتحاشى مواجهتكم ، فى كل مرة يضرب فيهـا ضربتـه .. إنـه لا يضـرب إلا العزل والمستسلمين وحدهم .

قال (أكرم) فى حنق :

ـ وماذا عن سرب المقاتلات ؟!

التفت إليه القائد الأعلى ، قائلاً فى حزم :

ـ استمع إلى زوجتك ، بدلاً من الانغماس فى روح اليأس هذه يـا (أكـرم) ؛ فكلماتهـا قويـة للغايـة ، وحماسها كفيل بقلب ميزان الأمور رأسًا على عقب ..

قالت (نشوى) فى يأس :

ـ وهل سيصنع هذا فارقًا ؟!

قال القائد الأعلى فى صرامة :

ـ على الأقل سيدفعهم إلى القتال والمقاومة .

ثم لوَّح بكفه ، مستطردًا :

ـ السياسيون مشغولون الآن بانتخاب رئيس جديد ،

يتولّى دفة الأمور في سرعة ، والعلماء يعملون بكل جدهم وجهدهم ، لابتكار سلاح قادر على مواجهة الغزو ، والإعلاميون يبثون الحماس في قلوب الناس .. كل يؤدي واجبه ، حتى ولو لم يكن النصر ممكنًا .. المهم أن نفعل ما بوسعنا .

غمغم (نور) في حزم :

ـ بالتأكيد يا سيدي .. بالتأكيد .

ثم عاد الصمت يغلف المكان ، والجميع يستمعون إلى (مشيرة) ، وهي تهتف ، بكل حماس الدنيا :

ـ لا تستسلموا أبدًا .. لا تقعوا في الفخ ، الذي أراده لكم العدو .. قاتلوا .. قاوموا .. ابذلوا أرواحكم في سبيل حريتكم .. في سبيل أوطانكم .. وعالمكم .. وكوكبكم كله .. قاتلوا من أجل ..

انبعث ضجيج عنيف بغتة ، قبل أن تتمّ عبارتها ، فهتف (أكرم) :

ـ رباه ! لقد جاءوا .

وفي الهولوفيزيون ، بدا الاضطراب على وجه (مشيرة) ، وهي ترفع رأسها إلى السماء ، هاتفة :

ـ قاوموا .. لا تستسلموا .

ومع هتافها ، انشقّ الفضاء عن جيش ضخم من المقاتلات ، اندفع من كل صوب ، وإلى كل صوب ..

ومن كل مكان ، انطلقت المقاتلات الأرضية ، لتشتبك مع مقاتلات الغزاة ، و (مشيرة) ، تهتف في حماس منقطع النظير ، لم تخفف من صوتها المرتجف :

ـ عبر عدسات (أنباء الفيديو) ، تنقل إليكم (مشيرة محفوظ) أخطر لحظات في تاريخ كوكبنا .. لحظة الغزو .. نسورنا ينطلقون لمواجهة الغزاة والتصدّي لهم .. القتال يشتعل في سمائنا ، ويصنع منها جحيمًا .. ولكننا لن نستسلم .. سنقاوم .. ونقاتل .. ونلقي الجحيم في وجوه أعدائنا .. سنقاتل حتى آخر قطرة دم .. سنقاتل .. سنقاتل .

كانت السماء قد تحولت بالفعل إلى قطعة من الجحيم ، وخيوط الليزر تسحق المقاتلات الفضائية ، ومقاتلات العدو ، والنيران تتساقط في كل مكان ، و (مشيرة) تواصل صرخاتها الحماسية :

ـ سنقاتل .. سنقاتل حتى آخر نفس في صدورنا .

وبكل ذعره وهلعه ، صاح (أكرم) :

- ابتعدى يا (مشيرة) .. اهربى .. غادرى ساحة المعركة .. الآن .

ومع صيحته ، انفصلت مقاتلتان عن سرب الغزاة ، وانقضتا علـى فريق (أبناء الفيديو) ، الذى انطلق رجاله هاربين فى ذعر ، باستثناء (مشيرة) ، التى ظلت تصرخ :

- سنقاتل .. سنقاتل .

وصرخ (أكرم) فى ارتياع :

- لا يا (مشيرة) .. لا ..

ولكن حزم الأشعة انطلقت ..

ودوّت عشرات الانفجارات ..

وتوقّفت صرخات (مشيرة) الحماسية ..

إلى الأبد ..

وفى ذهول مرتاع مذعور ، حدّق (أكرم) فى شاشة الهولوفيزيون ثلاثية الأبعاد ، والتى لم تعد تستقبل أى بث على الإطلاق ، وهو يردّد :

- لا .. ليس (مشيرة) .. مستحيل !

ثم صرخ بكل قوته :

- ليس (مشيرة) ..

وفى مشهد عجيب ..

وربما لأوّل مرة فى حياته كلها ..

انهار (أكرم) ..

انهار على أقرب مقعد إليه ، وهو يصرخ :

- الأوغاد .. الأوغاد .

وتردّدت صرخاته فى قاعة الاجتماعات ، بمبنى المخابرات العلمية المصرية ، الذى أصيب كل من فيه بصدمة عنيفة ..

صدمة أدركوا معها أن الغزو قد بدأ ..

وأن الجحيم قد فتح أبوابه على مصراعيها ..

أوسع أبوابه ..

* * *

مأساة رهيبة بكل المقاييس ..

الغزاة انقضوا بمقاتلاتهم على (مصر) ، فى شراسة منقطعة النظير ..

وبأعداد رهيبة ..

وبكل قوتهم وإصرارهم ومهارتهم وخبراتهم ، انطلق نسورنا يتصدّون للغزاة ، واشتبكوا معهم وأسقطوا العشرات منهم ..

وسقطوا ..

أبطالنا ونسورنا قاتلوا كالأسود ، قبل أن يسقطوا شهداء ..

والعجيب أن الخصم لم يبد رهيبًا منيعًا ، كما تصوّر الجميع ..

مقاتلاته أيضًا تساقطت كالذباب ..

ولكن أعدادها كانت هائلة بحق ..

وكما يقولون دائمًا : الكثرة تهزم الشجاعة ..

وتنحرها ..

وتسحقها أيضًا ..

ولقد استغرقت المعركة ساعة كاملة ، فقد خلالها الغزاة مائتى مقاتلة ، وفقدنا نحن ألف ..

كل عشر مقاتلات للغزاة كانت تنقض فى كل الاتجاهات ، على مقاتلة واحدة من مقاتلاتنا ..

وتنطلق حزم الليزر بلا هوادة ..

بلا رحمة ..

وبلا مبالاة ..

وداخل المخابئ النووية ، اختفى الجميع ..

النساء ..

والأطفال ..

والشيوخ ..

أما الشباب والرجال ، فقد تزاحموا لحمل السلاح ، ومواجهة العدو ، الذى يُنتظر هبوطه ، بعد أن يتحقق له التفوق الجوى ، والسيطرة الفضائية التامة ..

وفى مقر قيادة المخابرات العلمية ، الذى تحوّل إلى مقر المقاومة ، فور بدء القتال ، هتف القائد الأعلى ، وهو يتابع ما يحدث ، على شاشات الرصد المختلفة :

ـ يا للأوغاد ! إنهم يسحقون كل شىء بلا رحمة ، كما لو أن جنسهم يحيا دون قلوب تنبض .

قال (نور) فى عصبية ، وهو يتابع المذبحة الرهيبة :

ـ مادام إمبراطورهم عملاقًا آليًا ، فلن أستبعد أن يكون هذا حقيقة .

هتف (أكرم) فى غضب هادر مرير :

ـ وهل سنبقى هنا ، ونكتفى بالمراقبة والمشاهدة والاستنكار ؟! كلا يا رفاق .. لن يحدث هذا أبدًا .

ثم استلّ مسدسه ، ولوّح به ، صارخًا :

ـ سأخرج لمواجهة هؤلاء الأوغاد .. سأنتقم لـ (رمزى) و (مشيرة) ، ولنسور (مصر) ، وكل قطرة دم طاهرة ، أريقت على تراب الأرض .

هتفت (نشوى) :

ـ نعم .. دعنا نفعلها ..

ولكن (نور) استدار إليهما ، قائلاً فى صرامة :

ـ هذا بالضبط ما يريدونه منا .. أن نفقد عقولنا ، وحلمنا ، وحسن إدراكنا للأمور ، وننطلق لنقاتل بهمجية وعشوائية ، فتسحقنا تلك المقاتلات الحقيرة ، كما لو كنا مجموعة من النمل ، تسحقها قدم ضخمة ، دون أن يشعر بها وبوجودها أحد .. كلا يا رفاق .. لن نمنحهم ما يسعون إليه قط .. أتريدان الثأر لـ (رمزى) و (مشيرة) .. نعم .. سنفعل هذا حتمًا ، ولكن بأسلوبنا نحن ، وليس بما يدفعوننا إليه ..

وعضّ شفتيه ، ليخفى ألمه ومرارته ، قبل أن يتابع فى حزم :

ـ لو أن هؤلاء الغزاة قد انتصروا فى معركتهم الأولى ، فهذا لا يعنى أنهم سيربحون أيضًا فى النهاية .. لقد سبق لنا أن واجهنا هذا الجحيم ، وقاومنا ، وقاتلنا .

رددت (سلوى) :

ـ وانتصرنا .

التفت إليها (نور) قائلاً فى حزم :

ـ بالضبط .

ثم عاد يستدير إلى (نشوى) و (أكرم) ، متابعًا :

ـ أيامها فقدت أبى وأمى ، وفقدنا كل قادة (مصر) ، والقائد الأعلى ، ومدير مركز الأبحاث ، ومئات الألوف من البشر .. ولكننا لم نفقد عقلنا ، وحماسنا ، وأعصابنا .. لم نفقد قدرتنا على القتال والمقاومة .

وشدّ قامته فى قوة ، مضيفًا :

ـ ولهذا انتصرنا .

حدّق الجميع فى وجهه بضع لحظات ، قبل أن يغمغم (أكرم) :

ـ نعم يا (نور) .. لهذا انتصرنا .

ثم انعقد حاجباه فى حزم ، مستطردًا :

ـ وبهذا سننتصر بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

قال القائد الأعلى ، فى تلك اللحظة ، وهو يشير إلى الشاشة ، فى شحوب شديد :

ـ يبدو أنهم قد انتقلوا إلى مرحلة السيطرة الأرضية .

أدار الجميع عيونهم إلى الشاشة ، وحدقوا فى المركبة الفضائية الضخمة ، الشبيهة بالجعران(*) ، والتى هبطت فى بطء ، وسط الميدان الكبير ، تحيط بها مقاتلات الغزاة ، حتى استقرّت وسط المذبحة تمامًا ..

ولثوان ، تجمدت الصورة كلها ، كما لو أنها قد تحولت إلى مشهد ثابت ..

ثم انفتح باب جانبى فى بطء ، ومال حتى لامس أرضية المكان ، صانعًا ما يشبه الجسر المنحدر ..

وعبر ذلك الجسر ، انطلقت مقاتلات الغزاة الأرضية ..

أجسام رهيبة مخيفة ، أشبه بعناكب عملاقة ، راحت تنتشر فى كل مكان ، وتتجه نحو مداخل المخابئ

(*) الجعران : اسم يُطلق على الخنافس ، من فصيلة (سكارابيدى) ، كالجعران المقدّس ، الذى يصنع كرات من روث الحيوانات كغذاء له ، ويضع بيضه داخلها ، فتخرج منه اليرقات ، وقد قدّسه قدماء المصريين ؛ لاعتقادهم بأنه على صلة بإله الشمس ، وبالبعث والخلود ، وصنعوا العديد من الحلى المعدنية والخزفية على هيئته .

النووية مباشرة ، وكأنها تعلم مواقعها ، وترصدها منذ الأزل ..

وبكل غضب وارتياع الكون ، هتف (أكرم) :

ـ يا للخسة ـ! سيهاجمون النساء والأطفال والشيوخ العزّل .

تراجعت (سلوى) فى ارتياع ، مرددة :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

ومع كلماتها ، بدا أحد العناكب الضخمة ، وهو يتجه نحو آلات التصوير مباشرة ، ثم يطلق قذيفته ..

وصدرت من شاشة الرصد فرقعة عجيبة ، قبل أن تختفى الصورة عنها تمامًا ..

وفى مرارة ، هتف القائد الأعلى :

ـ يا للبشاعة ! يا للبشاعة !

أما (أكرم) ، فقد قال فى عصبية غاضبة :

ـ ما الذى يسعون إليه بالضبط ؟! لقد واجهنا غزاة بشعين من قبل ، ولكنهم ، على الرغم من وحشيتهم ، لم يبلغوا هذا الحد أبدًا .. لم يسحقوا كل من يقف فى وجههم على هذا النحو .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

- ربما لأن من واجهناهم من قبل كانوا أحياء .

سألته (نشوى) فى دهشة :

- ماذا تعنى يا أبى ؟!

صمت طويلاً ، وقد انعقد حاجباه فى شدة ، وارتسمت على وجهه علامات التفكير العميق ، فهتف به (أكرم) :

- فلتخبرنا ماذا تعنى يا (نور) ؟!

انفرجت شفتا (نور) ، وهو يلتفت إليهم ، وبدا وكأنه سيخبرهم بما لديه ، إلا أن أزيزًا عاليًا انطلق فجأة فى المكان ، وامتزج بصوت القائد الأعلى ، وهو يهتف فى توتر :

- ربّاه ! إنهم يهاجموننا .

استدار الجميع إلى شاشة رصد كبيرة ، بدت عليها عشر من مقاتلات الغزاة ، وهى تنطلق نحو مبنى إدارة المخابرات العلمية مباشرة ، فهتف (أكرم) :

- يا للأوغاد !

انعقد حاجبا (نور) لحظة فى شدة ، قبل أن يهتف فجأة ، بلهجة صارمة آمرة :

- إلى المخبأ النووى جميعًا .. بأقصى سرعة .

ودون مناقشة ، انطلق الجميع يعدون خلفه ، عبر ممرات المبنى ، فى نفس اللحظة التى بدأت فيها أجهزة الدفع الجوى عملها ، وراحت تطلق قذائفها وحزم أشعتها نحو المقاتلات ..

وفى هذه المرة أيضًا ، لجأت مقاتلات الغزاة إلى التكنيك نفسه ..

لقد انفصلت إلى فريقين ..

فريق واجه كل أسلحة الدفاع الجوى ، فى انتحارية عجيبة ..

والفريق الآخر تقمّص دور الكاميكاز (*) ، وانقضّ على مبنى إدارة المخابرات العلمية بكل قوته ..

ومع الارتطام دوّى الانفجار ..

وارتجّت المنطقة كلها ..

بمنتهى العنف .

* * *

(*) الكاميكاز : كلمة يابانية من مقطعين (كامى - كاز) ، وهى تعنى (القنبلة الحية) أو (القنبلة البشرية) ، وهو مصطلح نشأ فى الحرب العالمية الثانية ، وبالتحديد فى أثناء معركة (ميدواى) البحرية ، وتم إطلاقه على الطيارين اليابانيين ، الذين كانوا يلقون طائراتهم على المدمرات الأمريكية ، وينسفون أنفسهم معها ، بعد أن أعجزتهم وسائل الدفاع الجوى عن الاقتراب منها وقصفها .

٨ـ نبض الحياة ..

مرة أخرى ، ارتجت آلة الزمن فى عنف ..

هناك شىء ما غير طبيعى ..

خلل ما ..

ليس من المفترض أن تحدث هذه الارتجاجات ..

ليس من الطبيعى أن تفلت الأمور إلى هذا الحد ..

حتى الرحلة عبر الزمن ، استغرقت وقتًا أطول مما ينبغى ..

أوهكذا خُيِّل لـ (نور) ، وهو يجلس فى مقعده ، فى حالة أشبه بالغيبوبة ، وكل أطرافه باردة كالثلج ، عاجزة عن الحركة ..

من المستحيل أن يصيب هذا المسافر عبر الزمن ..

صحيح أنه وزوجته لا يرتديان أية أزياء واقية ..

ولكن كل الدراسات تؤكد أن هذا ليس حتمًا ..

ربما يجعل رحلة الزمن أكثر راحة ..

ولكن عدم وجود الزى الواقى لا يمكن أن يؤدى لكل هذا ..

إنه عاجز عن النهوض ..

أو حتى عن المتابعة ..

كل ما لاحظه هو أن مؤشر الزمن أصابه خلل ما ..

لم يعد يسير فى بطء منتظم كذى قبل ..

بل لم يعد يحدد الاتجاه الذى ينطلق فيه ، عبر نهر الزمن ..

ترى ما الذى يعنيه هذا ؟!

ما الذى يمكن أن يشير إليه ؟!

شغلته تساؤلاته لبضع لحظات ، ثم لم يلبث ذهنه أن طرحها جانبًا ، مع ذلك الحذر الذى يسرى فيه ..

وعاد يسترجع ذكرياته ..

ذكريات ذلك الغزو الرهيب ..

استرجع ذهنه ذلك الانفجار المدوّى ، الذى حدث فى مبنى إدارة المخابرات العلمية ، قبل أن يبلغوا المخبأ النووى تمامًا ..

ما زال يذكر كيف اندفع جسده إلى الأمام ، وطار فى الهواء ، ثم هوى يرتطم بالأرض فى عنف ..

ويذكر إصابة (نشوى) ..

ومصرع القائد الأعلى ..

ويا لها من ذكريات !

استعادت مشاعره ، فى تلك اللحظة ، كل ما مرّ به من ألم ومرارة وعذاب ، فى تلك اللحظات ..

وانطلق يستعيد الذكريات ..

ذكريات الغزو ..

والمقاومة ..

* * *

الثلاثاء .. الرابع من مايو .. القرن الحادى والعشرين ..

خيم سكون وصمت رهيبين على الميدان الرئيسى ، فى قلب (القاهرة) الجديدة ، وارتفعت منه رائحة الموت تزكم الأنوف ، وقد تناثرت فيه جثث الموتى ، وحطام مقاتلاتنا ، ومقاتلات العدو ، التى لم ترفع بعد ، منذ تلك المذبحة الرهيبة ..

مذبحة الغزو ..

المدينة كلها بدت صامتة كئيبة ، فى اليوم الثالث للغزو ..

الجميع قبعوا فى بيوتهم ، ينتظرون الموت فى أية لحظة ، بعد أن أدركوا أن الغزاة يعرفون كل مواقع المخابئ النووية ، ويصرون على مهاجمتها وسحقها بكل من فيها ..

وكان العدو يُعلن أنه يرفض أن يختبئ البشر .. يريدهم أمامه ، فى أية لحظة ..

وكل لحظة ..

ولكن لماذا ؟!

لا أحد يدرى ..

لا أحد على الإطلاق ..

ووسط كل الصمت والسكون ، تحرك جسدان بشريان ، فى حذر وخفة ، وسط الحطام المنتشر فى كل مكان ..

وفى مرونة مدهشة ، انتقلا إلى حطام إحدى مقاتلات العدو ، وهما يخفيان أنفيهما وفميهما بمنديلين كبيرين ، وراحا يفحصان حطام المقاتلة الفضائية فى اهتمام بالغ ..

ولدقيقتين أو يزيد ، لم ينبس أحدهما بحرف واحد ..

ثم غمغم (أكرم) فى توتر :

ـ كنت على حق يا (نور) .. إنها مقاتلة بلا طيّار .

أجابه (نور) فى خفوت :

وراحا يفحصان حطام المقاتلة الفضائية فى اهتمام بالغ ..

ـ هناك مقعد للطيّار ، ولكن من الواضح أنه لم يُستخدم قط .. كل هذه المقاتلات كانت تنطلق بالتوجيه البعيد .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ أو بالتوجيه الذاتى .

سأله (أكرم) فى توتر :

ـ ما الذى تعنيه بالتوجيه الذاتى ؟!

أشار (نور) إلى الحطام ، مجيبًا :

ـ أعنى أن تلك المقاتلات ، فى حقيقة أمرها ، أشخاص آلية ، مبرمجة بنظام ذكاء صناعى مدهش ، يتيح لها القتال والمناورة ، واكتساب الخبرات المختلفة .

وتنهّد فى توتر ، مضيفًا :

ـ وهذا يفسّر كل شىء .

سأله (أكرم) فى لهفة :

ـ مثل ماذا ؟!

همّ (نور) بإجابة سؤاله ، ثم لم يلبث أن أطبق شفتيه ، وعقد حاجبيه فى شدة ، وهو يشير بسبّابته ، قبل أن يلوّح بإشارة خاصة ، جعلت (أكرم) يضغط

زرًا فى حزامه ، ثم يحبس أنفاسه ، ويخفى جسده خلف جزء من الحطام ، وهو يتطلع فيما حوله ، فى توتر بالغ ..

ثم التقطت أذناه ذلك الصوت ، الذى التقطته أذنا (نور) من قبل ..

ومن بعيد ، ظهرت إحدى تلك الآلات المخيفة ، الشبيهة بالعناكب العملاقة ..

وحبس (نور) أنفاسه بدوره ..

ومن قمة العنكبوت الآلى ، انبعثت حزمة من ضوء أخضر باهت ، راحت تمسح المكان كله فى بطء ..

ولثلاث دقائق كاملة ، راحت الآلة تسير فى بطء ، بين الحطام والأشلاء ، والضوء الأخضر الباهت يفحص المكان ، وكأنما يبحث عن أى أثر للحياة ..

ثم بدأت الآلة تبتعد ..

وتبتعد ..

حتى اختفت تمامًا ..

وعندئذ ..

عندئذ فقط ، أطلق (أكرم) من أعماقه زفرة حارة ، وهو يهتف :

ـ ربّاه ! كلما تصوّرت ما كان يمكن أن يحدث ، لو كشف ذلك الشىء وجودنا ، انخلع قلبى رعبًا .

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ لقد انتهى عملنا هنا ، والأفضل أن نعود إلى وكرنا .

غمغم (أكرم) ، وهو يتحرك إلى جواره ، بمنتهى السرعة والخفة :

ـ بالتأكيد .

لم يطرح سؤالاً آخر على (نور) ، طوال طريق العودة ، وهما يبذلان جهدًا خرافيًا ، للإفلات من عناكب الغزاة الآلية ، إلا أن عقله ظلّ يتساءل طوال الوقت فى قلق :

تُرى ما الذى يقصده (نور) ؟!

« خصمنا ليس مخلوقًا حيًا .. »

نطق (نور) العبارة فى حزم ، داخل المخبأ السرى ، الذى اتخذته المقاومة الأرضية ، فاتسعت عيون رفاقه ، وهتفت (نشوى) :

ـ لماذا تقول هذا يا أبى ؟!

أجاب (نور) :

ـ كل شيء حدث ويحدث ، يؤكد أن استنتاجي هذا صحيح .. إننا لم نر مخلوقًا واحدًا من الغزاة ، منذ بدأ كل هذا .. وحتى عندما دخلنا مركبتهم العملاقة ، لم نر سوى شخص آلي ضخم ، وآلات شبيهة بالبعوض .. وهنا على الأرض ، منذ بدأ الغزو ، لم نر سوى آلات .. فقط آلات ، فما الذي يمكن أن يعنيه كل هذا ؟!

سألته (سلوى) حائرة :

ـ ما الذي يمكن أن يعنيه ؟!

أجاب في انفعال :

ـ إننا نواجه عالمًا من الآلات .

هتف أحد الرجال ، في دهشة بالغة :

ـ عالم من ماذا ؟!

لوّح (نور) بذراعيه ، وهو يقول :

ـ عالم من الآلات يا رجل .. عالم إمبراطوره آلي عملاق ، وكل مقاتليه من الآلات المتقدّمة .

سأله (أكرم) مستنكرًا :

ـ ولكن كيف يمكن أن ينشأ عالم كهذا يا (نور) ؟! الآلة تحتاج حتمًا إلى صانع !

تحرك (نور) في المكان ، وهو يقول :

ـ هذا أمر لا شك فيه ، ولكن دعونا نرسم صورة للأمر منذ بدايته .. فلنتخيّل عالمًا متقدّمًا للغاية ، بدليل قدرته على صنع سفينة فضائية هائلة كهذه ، وإطلاقها في الفضاء ، وعلى متنها طاقم متكامل ، مع عدد من الآلات المتقدّمة ، ذات الذكاء الصناعي ، لارتياد الكون الشاسع ، واستكشاف الفضاء اللانهائي .. ثم أصيبت تلك الآلات بالخلل ، لسبب أو لآخر ، وساعدها ذكاؤها المتفوّق على الثورة على صانعيها ، وتحطيمهم ، ثم بدأت هي تسيطر على الموقف تمامًا .

غمغم أحد الرجال في حدة :

ـ صورة خيالية ، أكثر مما ينبغي .

تابع (نور) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ ولأن تلك الآلات قد برمجت للبحث عن صور الحياة في الكون ، فهي تواصل رحلتها في الفضاء السرمدي ، وعبر طريق النجوم ، بحثًا عن أي كوكب مأهول .

تمتم (أكرم) في عصبية :

ـ وتدميره .

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

ـ بالضبط .

سرت همهمة بين الجميع ، وهتف أحدهم فى سخط :

ـ أية مهمة هذه ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ مهمة تقوم بها عقول آلية ، تحررت لأول مرة من سيطرة العقول الحيـة ، وتصورت أن مهمتها الرئيسية هى مواصلة التحرر ، وسحق أية صور للحياة ، فى أى مكان من الكون .

تبادل الجميع نظرات متوترة للغاية ، قبل أن يهتف أحد الرجال :

ـ هذا يبدو لى أشبه بفيلم من أفلام الرعب ، الممتزج بالخيال العلمى .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ ولكنه يفسّر كل ما حدث ، ويلقى الضوء على تلك الوحشية اللانهائية والانتحارية المذهلة ، اللتين تميزان هؤلاء الغزاة ؛ فالآلات بلا قلب ، ولا تشعر بالشفقة أو الرحمة ، كما أن كلمة الحياة ومعنى الانتحار لا وجود لهما فيها .

هتف (أكرم) :

ـ وماذا عن الذكاء المفرط ، والعبقرية فى تحطيم الروح المعنوية ؟!

هزّ (نور) كتفيه ، مجيبًا :

ـ المناورة والاستراتيجية أمران تتميز بهما الآلات المفكرة ، وإلا ما وجدنا أجهزة كمبيوتر متفوقة فى لعبة الشطرنج ، ويمكنها هزيمة أبطال العالم فيه(*) ، وهو لعبة قمة فى الاستراتيجية والتكنيك والمناورة .

غمغم رجل آخر :

ـ ما زال الأمر يثير فى نفسى الرعب .

أجاب (نور) فى حزم :

ـ ولكنه يمنحنا شيئًا من الأمل على الأقل .

هتف أحد الرجال مستنكرًا :

ـ أى أمل ؟!

أشار إليه (نور) ، مجيبًا :

ـ الأمل فى أننا نواجه عقولاً آلية ، وليست حية ..

(*) فى مباراة مثيرة للغاية ، عام ١٩٩٧م ، نجح الكمبيوتر (ديب بلوتو) (Deep blue two) فى هزيمة بطل العالم فى الشطرنج (جارى كسباروف) ، معلنا ميلاد جيل جديد من آلات الكمبيوتر المفكرة .

عقول قابلة للانهزام أمام العقل البشرى .

قال رجل فى حدة :

ـ وكيف أيها القائد ؟! أنت قلتها بنفسك : الآلات المفكِّرة تنتصر دائمًا ، فى الاستراتيجية والمناورة .

أجابه (نور) :

ـ هذا ينطبق على الألعاب ذات القواعد الثابتة وحدها ، حيث لا يمكن للطرفين الخروج عن خط مرسوم ومحدود ، أما فى القتال المباشر ، والحياة الطبيعية ، فالقواعد تتغيَّر وتتبدَّل ، وفقًا لمقتضيات الموقف ، ومهما بلغت تلك الآلات المفكِّرة من ذكاء صناعى ، لن يمكنها أبدًا أن تبارى العقل البشرى ، فى هذا المضمار .

سألته (نشوى) :

ـ ومن أدرانا أنه لا يوجد عقل حى جبار ، خلف كل هذا ؟!

سألها مباشرة :

ـ وما الذى ينقصه ، ليكشف عن وجوده الآن ؟! ألم يتحقَّق له النصر التام ؟! ألم ينجح فى السيطرة على أربعة أخماس الأرض ، حتى هذه اللحظة ؟!

أشار (أكرم) بسبَّابته ، وهو يقول فى اهتمام قلق :

ـ هل تعلم يا (نور) .. هذا الأمر يطرح فى ذهنى تساؤلاً آخر .. لماذا لم يسيطر على العالم كله دفعة واحدة ، ما دام يمتلك كل هذا التفوق العددى ؟! لماذا يهاجم كل دولة على حدة ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يدرس هذه النقطة جيدًا ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ هذا أمر مهم بالفعل يا (أكرم) .. لماذا يفعل هذا ، على الرغم من أنه يمتلك ما يزيد على مليون مقاتلة ، طبقًا لما سجلته أجهزة المكوك (ابن ماجد) ؟! لماذا ؟!

قال أحد الرجال فى عصبية :

ـ وما الذى يدعوه إلى العجلة ؟! كل شىء تحت سيطرته الآن .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا فى قوة ، وهو يقول :

ـ لا يمكن أن يكون هذا هو السبب .

سأله رجل آخر فى حدة :

ـ ما السبب إذن ؟!

عاد يهزّ رأسه فى بطء هذه المرة ، وهو يتمتم :
ـ لم يتضح بعد .
قال (أكرم) فى حزم :
ـ ولكنك ستتوصلّ إليه حتمًا .
غمغم (نور) :
ـ بإذن الله (سبحانه وتعالى) يا (أكرم) .. بإذن الله .
ولكن وجهه ظلّ يحمل علامات التفكير العميق ، وهو يتابع ، وكأنما يتحدث مع نفسه :
ـ ولكن هذا يقودنا إلى أمر آخر .. ففى الاحتلال السابق ، اهتمّ الغزاة بنسف كل ما ينتمى إلى الحضارة ، وعلى رأسها الأقمار الصناعية ووسائل الاتصال ، أما فى هذه المرة ، فالخصم لم يسع إلى هذا .. بل ولم يبال به على الإطلاق ، فلماذا ؟!
قال أحد الرجال فى سخرية :
ـ الآلات تحنّ لبعضها .
ازداد انعقاد حاجبي (نور) ، وازدادت علامات التفكير على وجهه عمقًا ، حتى إن الجميع قد لاذوا بالصمت ، وشعروا بأن عقله يدير عشرات الأمور

بعضها مع البعض ، ويقلبها ويفحصها ويمحصها ، قبل أن يقول فى بطء عجيب :
ـ إذن فالآلات كلها ستبقى سالمة .
سألته (سلوى) فى توتر :
ـ فيم تفكر بالضبط يا (نور) ؟!
أجاب فى شرود عجيب :
ـ أفكر فى أن هزيمة جيش من الآلات ، أمر يبدو مستحيلاً ، إلى حد كبير .
هتف أحد الرجال :
ـ هذا ما قلته منذ البداية .
تابع (نور) ، وكأنه لم يسمعه :
ـ إذن فالأفضل أن نمنع وصول ذلك الجيش منذ البداية .
بدت الدهشة على عيونهم جميعًا ، وتبادلوا نظرة حائرة مرتبكة ، فى حين تصاعدت إلى شفتيه هو ابتسامة كبيرة واثقة ، وهو يقول :
ـ هل تعلمون يا رفاق ؟ .. أعتقد أنه ما زال هناك أمل فى النجاة من كل هذا .. أمل كبير .
وعلى الرغم من أن الجميع كانوا يتطلعون إليه

مباشرة ، إلا أن أحدًا منهم لم ينجح قط فى قراءة ما يدور فى ذهنه ..

لذا فقد بدا لهم غامضًا ..

إلى أقصى حد ..

* * *

ارتجاجة عنيفة ، شملت آلة الزمن كلها هذه المرة ..

ارتجاجة توحى بأن حدثًا جللاً فى الطريق ..

ومع تلك الارتجاجة ، تلاشت كل ذكريات (نور) ..

وفتح عينيه عن آخرهما ..

كان كل شىء يوحى بأن الآلة ما زالت تواصل رحلتها ، عبر نهر الزمن ..

الأضواء المختلفة ..

التلاحق السريع ..

كل شىء ..

ولكن شيئًا ما فى أعماقه أنبأه بأنه يوجد خطأ ما ..

خطأ لم يحدث من قبل ، فى أية رحلة من رحلات الزمن ..

ثم إن الأمر قد استغرق فترة طويلة للغاية ..

أطول مما ينبغى بكثير ..

وهو لا يعلم ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ..

هل ضاعت المركبة فى نهر الزمن ؟!

هل قفزت إلى الماضى السحيق ؟!

أو المستقبل البعيد ؟!

أدار عينيه فى صعوبة إلى جهاز التوجيه الزمنى ، فى محاولة لتحديد موقعهما من نهر الزمن ..

ولكن كل شىء كان مرتبكًا بشدة ..

الأرقام تتوالى بسرعة مخيفة كما لو أصابها مس من الجنون ..

أو شيئًا من الخلل ، الذى أصاب كل شىء ..

وهو يشعر بإرهاق ، لم يشعر به من قبل ..

وإلى جواره ، تأوّهت (سلوى) فى ضعف :

ـ أين نحن ؟! لماذا أشعر بكل هذا التهالك ؟!

تمتم فى صعوبة :

ـ لست أدرى .

وبكل ما يمتلك من قوة وإرادة ، دفع جسده بعيدًا عن مقعده ، وحاول أن يتجه إلى أجهزة التوجيه ..

حاول ..

وحاول ..

وحاول ..

ولكنه لم ينجح أبدًا ..

وبكل ضعفها .. تمتمت (سلوى) :

ـ أهى النهاية يا (نور) ؟! هل كُتِبَ علينا أن تضيع فى نهر الزمن ؟!

تمتم :

ـ لا .. هذا مستحيل ! لا يمكننى أن أسمح بهذا أبدًا .

ثم عاد يستنفر قواه ، لينهض مضيفًا :

ـ من أجل الأرض على الأقل .

قاومت (سلوى) ذلك الخدر ، الذى يسرى فى جسدها أيضًا ، وهى تقول :

ـ نعم يا (نور) .. دعنا نقاوم .. من أجل الأرض .. من أجل الجميع .

مع آخر حروف كلماتها ، تلاشت الأضواء الساطعة مختلفة الألوان بغتة ..

وظهرت سماء ممتدّة ..

سماء زرقاء صافية ، جعلتها تهتف :

ـ رباه ! هل ..

قبل أن يكتمل سؤالها ، مالت آلة الزمن إلى أسفل بغتة ، ثم راحت تهوى بسرعة مدهشة نحو الأرض ، التى بدت فى وضوح ..

وبكل قوته ، دفع (نور) نفسه بعيدًا عن مقعده ، وحاول أن يمسك أجهزة التوجيه ، وهو يتمتم :

ـ يبدو أننا فعلناها يا (سلوى) .. لقد عبرنا نهر الزمن ، إلى ما قبل وصول الغزاة .. لقد فعلناها .

أمسك أجهزة التوجيه بأصابعه فى قوة ..

ولكن المركبة واصلت هبوطها ..

وواصلت ..

وواصلت ..

وبدت مبانى (القاهرة) الجديدة فى وضوح ..

وهتفت (سلوى) :

ـ رباه ! (نور) .

جذب أجهزة التوجيه ، بكل ما تبقَّى له من قوة ..

ولكن الأجهزة لم تستجب ..

والمركبة ظلت تهوى ..

وتهوى ..

وتهوى ..

وبدت أسطح المنازل ، عند أطراف المدينة ، وهى تقترب ..
وتقترب ..
وتقترب ..
وصرخت (سلوى) :
- إنها النهاية ..
ومع صرختها ، ارتطم بطن المركبة بجزء من سطح أحد المبانى ..
ومع الارتطام ، مالت آلة الزمن فى عنف ..
ثم هوت مرة أخرى ..
وارتطمت ببناء آخر ..
وبكل قوته ، صرخ (نور) :
- تماسكى يا (سلوى) .. تماسكى .
سمعها تطلق شهقة قوية ، مع الارتطام الثالث ..
ثم صمّ أذنيه صوت انفجار قوى ، فى مؤخرة آلة الزمن ..
وبعدها ، ارتطمت بالأرض فى عنف ..
واندفع جسده إلى الأمام ..
وارتطم بأجهزة التوجيه ..

وسمع صوت ضلعه يتحطَّم ..
وصوت زجاج ينكسر ..
وصرخة (سلوى) ..
وتدحرجت الآلة مرة ..
وثانية ..
وثالثة ..
ثم توقَّفت أخيرًا ..
وسط عاصفةٍ من الغبار ..
وبكل لوعته ، هتف (نور) :
- (سلوى) .. أين أنت ؟! أين أنت يا (سلوى) ؟
لم يتلقَّ جوابًا ، فامتلأت نفسه بهلع شديد ، جعله يضرب الغبار بكفيه وذراعيه فى عنف ، صائحًا :
- أين أنت ؟!
انزاح الغبار قليلاً ، واتسعت عيناه فى ذعر ، عندما شاهد الواجهة الزجاجية المحطمة ، وجسد (سلوى) ، الملقى على مسافة عشرة أمتار منها ، وسط أجزاء من حطام المبنى ، الذى ارتطما به ..
ولم ينتبه ، إلا فى هذه اللحظة فقط ، إلى أنه قد استعاد بعض نشاطه ، على نحو جعله يقفز عبر الواجهة

واتسعت عيناه فى ذعر ، عندما شاهد الواجهة الزجاجية المحطمة ، وجسد (سلوى) الملقى على مسافة عشرة أمتار منها ..

المحطمة ، ويعدو نحوها ، بكل لوعة الدنيا ، ثم ينحنى ليحتويها بين ذراعيه ، هاتفًا :

ـ أأنت بخير ؟!

كانت الدماء تغمر جبهتها ، وعيناها تدوران فى محجريهما ، وهى تقول فى ضعف متهالك :

ـ إنها غلطتى يا (نور) .. لقد حللت حزام الأمان ، و ...

قاطعها فى حنان مرتاع :

ـ لا تتكلمى يا حبيبتى .. لا تقولى شيئًا .. سيصل رجال الإسعاف حتمًا ، وسينقذونك ، و ...

قاطعته هى هذه المرة ، فى ضعف زائد :

ـ لا تقلق نفسك بأمرى .. المهم الأرض ومستقبل الأرض .

قال بلهجة أقرب إلى الضراعة :

ـ لا تتكلمى .. أرجوك .

حاولت أن تبتسم ، إلا أن ضعفها المتزايد منعها من هذا ، فتمتمت :

ـ الأرض يا (نور) .

ثم انتفض جسدها فى عنف ، وانطلقت من حلقها

شهقة مكتومة ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، قبل أن يتهالك جسدها دفعة واحدة ، وتفقد عيناها بريق الحياة ..

إلى الأبد ..

وبكل لوعة وذعر وحزن الدنيا ، صرخ (نور) :

ـ لا يا (سلوى) .. لا ..

وضمّ إليه جسدها ، الذى ما زال يحمل دفء حياة مضت ، وهو يصرخ ..

ويصرخ ..

ثم ظهرت تلك الأجسام ، التى تعدو نحوه ..

وارتفع صوت أبواق سيارات قادمة ..

ثم أظلمت الدنيا كلها أمام عينيه ..

وانتهت علاقته بعالم الوعى ..

تمامًا .

* * *

٩ ـ بالعكس ..

تعالى وقع أقدام مسرعة ، عبر الممر الطويل للقسم الخاص ، فى المستشفى التابع لقسم الأبحاث ، فى المخابرات العامة المصرية ، فاستدارت عيون الجميع إلى مصدره ، وغمغمت (سلوى) ، عندما وقع بصرها على صاحبه :

ـ هاهو ذا الدكتور (جلال) قد وصل .

كان الرجل واضح الانفعال ، محتقن الوجه ، وهو يتجه إليها وإلى رفاقها ، متسائلاً فى لهفة عصبية :

ـ أين هو ؟!

أشارت (سلوى) عبر لوح زجاجى سميك ، إلى الشخص الراقد على فراش العناية الخاصة ، قائلة :

ـ هاهو ذا .. إنه لم يستعد وعيه بعد .

حدّق الدكتور (جلال) فى وجه ذلك الراقد بضع لحظات ، قبل أن يهزّ رأسه ، قائلاً فى ذهول مبهور :

ـ مدهش .. من يتخيّل هذا ؟!

سأله (رمزى) فى توتر :

- ولكن من هو ؟! ومن أين جاء ؟!

أجابه الرجل منفعلاً :

- الفحص المبدئى يؤكد أنها آلة زمن .. لقد برزت فجأة فى سمائنا ، واختلّ توازنها فور وصولها إلى عالمنا ، فهوت من حالق ، وارتطمت بثلاث بنايات على الأقل ، قبل أن ترتطم بالأرض ، ويحدث ما حدث .

سأله (أكرم) ، وهو يحدّق فى الراقد بدوره :

- يقولون : إن زميلته كانت معه .. أهذا صحيح ؟!

ألقى الدكتور (جلال) نظرة متوترة على (سلوى) ، مغمغمًا :

- نعم .. هذا صحيح .

ثم ازدرد لعابه ، قبل أن يتابع :

- ولكنها لم تحتمل عنف الهبوط ، و ...

لم يستطع إكمال عبارته ، وهو يحدّق فى وجه (سلوى) ، فقالت هذه الأخيرة فى عصبية :

- ماتت .. أليس كذلك ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فامتقع وجهها ، وتساءلت فى خفوت ، وكأنما تخشى أن يرتفع صوتها :

- أهى ...

أجابها الدكتور (جلال) فى سرعة متوترة :

- نسخة طبق الأصل منك .. نعم .. هذا صحيح .. كل شىء فيها يطابقك تمامًا .. البصمات .. القزحية .. وحتى تركيبها الجينى .. لولا ذلك الاختلاف ، الذى يميّزها وصاحبها ومركبتهما ، والذى يثير حيرتنا وارتباكنا بشدة .

هتفت (نشوى) مبهورة :

- ولكن من هما ؟! من أين جاءا ؟! وكيف ؟!

أتاها صوت حازم ، يجيب :

- من المستقبل .

التفت الجميع إلى (نور) ، الذى أكمل بنفس الحزم :

- هذا لا يحتاج إلى ذكاء دافق .

ران على الجميع صمت مطبق لبضع لحظات ، وهم ينقلون بصرهم بين (نور) ، وشبيهه الفاقد الوعى ، قبل أن يتمتم الدكتور (جلال) :

سبحان الله (العلى القدير) .. سبحان الله .

قال (أكرم) فى عصبية :

- نعم .. سبحان الله .. له فى خلقه شئون .

قالت (نشوى) :

ـ ولكن لماذا ؟! ما الذى دفعهما إلى ركوب آلة زمن ، والعودة بها إلى الماضى .

أشار (نور) إلى شبيهه الراقد ، وهو يغمغم :

ـ أظنه الوحيد ، الذى يمتلك جوابًا لسؤالك .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى بدت من الراقد آهة خافتة ، فهتف الدكتور (جلال) فى انفعال :

ـ رباه ! إنه يستعيد وعيه .

ألقى (رمزى) نظرة سريعة ، عبر الحاجز الزجاجى ، على شاشات الأجهزة المتصلة بالراقد ، قبل أن يغمغم :

ـ هذا صحيح .

قال الدكتور (جلال) :

ـ هل ستواجهونه ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ بالتأكيد .

ثم صمت لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ أقصد أن الرفاق سيواجهونه .

سألته (سلوى) فى دهشة :

ـ وماذا عنك ؟!

صمت لحظة أخرى ، ثم أجاب :

ـ لو أنه نسخة مستقبلية منى ، على نحو أو آخر ، فأنا أعرف جيدًا كيف يفكر .

وهزّ كتفيه ، مضيفًا :

ـ فهو أنا ، على أية حال .

قال (أكرم) فى توتر :

ـ لم أفهم شيئًا .

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

ـ دعه يلتق بكم أولاً ، حتى لا يربكه الأمر ، وهو يستعيد وعيه فى البداية ، وسأتابعكم من الخارج .. ولكننى أعدكم أن أتدخل ، فى اللحظة المناسبة تمامًا .

تبادل الجميع نظرة صامتة ، قبل أن يقول (رمزى) :

ـ فليكن يا (نور) .. فليكن .

ثم أشار إلى رفاقه ، ودفع باب الحجرة ، لتبدأ المواجهة ..

أغرب مواجهة فى حياتهم ..

كلها ..

* * *

الجميع لقوا مصرعهم ..
(محمود) .. (رمزى) .. (مشيرة) .. (أكرم) .. (نشوى) ...
وأخيرًا (سلوى) ..
رفاقك كلهم ضاعوا مع الغزو هذه المرة يا (نور) ..
الغزاة الآليون التهموا الأرض كلها ..
كيانها ..
تاريخها ..
حاضرها ..
ومستقبلها ..
كل شىء انتهى ..
كل شىء ..
حتى آلة الزمن نفسها ..
هأنتذا وحيد ضائع يا (نور) ..
أنت الأمل فى إنقاذ مستقبل الأرض ..
الأمل الوحيد ..
الغزاة فى عالمك لن يتوقفوا أبدًا ..
سيواصلون حملة الإبادة حتى النهاية ..
لن يسلم كائن حى واحد منهم ..

لن ينجو أحد من وحشيتهم الآلية ، التى لاتعرف شفقة أو رحمة ..
سيحطمون كل شىء ..
وأى شىء ..
وسيسحقون الحياة فى كل صورها ..
بلا استثناء ..
بلا رحمة ..
أنت الأمل الأخير يا (نور) ..
لا تستسلم أبدًا ..
ابتلع مرارتك ..
وآلامك ..
وأحزانك ..
احتمل كل لوعة وعذاب الدنيا ..
انس رفاقك ، الذين شاهدتهم يلقون مصرعهم أمام عينيك ، واحدًا بعد الآخر ..
انسهم جميعًا ..
لا تتذكر إلا أمرًا واحدًا ..
الأرض ..
ومستقبل الأرض ..

قاوم يا (نور) ..

قاوم ..

لا تستسلم أبدًا ..

مهما كانت المشاق ..

والصعاب ..

والتضحيات ..

قاوم يا (نور) ..

هيا .. استعد وعيك ..

لا تستسلم لتلك الغيبوبة ..

استعد وعيك فى ماضيك ..

هيا ..

هيا ..

كان ذلك الهتاف يتردد فى ذهنه بقوة ، وهو يفتح عينيه فى صعوبة ، ويتطلع إلى ما حوله بذهن مشوش مرتبك ..

وأمام عينيه ، ظهرت تلك الوجوه ..

وسرت قشعريرة باردة فى كيانه كله ..

(أكرم) .. (رمزى) .. (نشوى) .. و ...

و (سلوى) ..

وجوههم جميعًا كانت تطلّ عليه فى لهفة مرتبكة ، حتى خُيّل إليه أنه فى الجنة ، يطالع وجوه رفاقه ، الذين سبقوه إليها ..

ثم استوعب ذهنه الأمر فى سرعة ..

إنه الآن فى ماضيه ..

فى زمن يسبق كل تلك الأحداث الرهيبة ، التى مرّ بها عالمه ..

زمن يسبق مصرعهم ..

وبابتسامة باهتة مضطربة ، تمتم :

ـ مرحى يا رفاق .. لا يمكنكم أن تتصوّروا كم أنا سعيد برؤيتكم الآن .

بدت عليهم دهشة متوترة ، عندما ألقى عبارته ، وتبادلوا نظرة عصبية للغاية ، وكأنهم لم يتوقّعوا حديثه قط ، فأغلق عينيه لحظة ، ليريحهما من إجهاد عجيب يشعر به ، وهو يتابع :

ـ أراهن على أنكم تشعرون بدهشة كبيرة لرؤيتى هكذا .. وهذا أمر طبيعى ، فالواقع أننى لست (نور) الذى تعرفونه .

تمتمت (سلوى) :

ـ نعلم هذا .
وقال (أكرم) فى عصبية :
ـ أنت قادم من المستقبل .. أليس كذلك ؟!
كان يشعر بإرهاق غير عادى ، وهو يبتسم مجيبًا :
ـ بالضبط .. أنت عبقرى يا عزيزى (أكرم) .
حدّق (أكرم) فى وجهه لحظة ، قبل أن يهزّ رأسه فى قوة ، هاتفًا :
ـ رباه !! أكاد أقسم إنه (نور) ، ولكن ..
قاطعه فى هدوء :
ـ ولكنه أكبر سنًا .. أليس كذلك ؟!
أجابت (نشوى) مضطربة :
ـ لست أكبر سنًا ، ولكنك تختلف .
فتح عينيه ، وألقى نظرة أخرى عليهم ، قبل أن يتمتم :
ـ أنتم أيضًا تختلفون .
ثم اكتسب صوته شيئًا من الحيرة ، وهو يتابع :
ـ لست أدرى فيم ؟! ولكنكم تختلفون .
تبادلوا نظرة أخرى متوترة ، ثم سأله (رمزى) ، فى شىء من الحزم :

ـ من أين أتيت بالضبط ؟!
أشار بسبابته ، مجيبًا :
ـ من المستقبل .. مستقبلكم .
قالت (سلوى) ، بلهجة أقرب إلى الاستنكار :
ـ مستقبلنا نحن ؟!
تمتم :
ـ بالتأكيد .
ثم ازدرد لعابه ، وأضاف :
ـ إنها قصة طويلة .. قد لا تسركم أبدًا ، ولكننى سأرويها لكم بكل تفاصيلها .
سأله (رمزى) فى قلق :
ـ ألن يجهدك هذا ؟!
كان يشعر بالفعل بإجهاد شديد ، لم يجد له تفسيرًا منطقيًا ، وهو يغمغم :
ـ أريد أن أرويها لكم .
تبادلوا نظرة متوترة أخرى ، ثم قال (أكرم) :
ـ افعل إذن .. كلنا آذان مصغية .
صمت هو بضع لحظات ، ثم أشار بيده ، قائلاً :
ـ ما سأرويه لكم قد يبدو رهيبًا مخيفًا ، ولكنكم

ستجدون معى أسطوانة مدمجة صغيرة جدًا ، سجلت عليها كل شىء ؛ حتى تدعم قصتى ، وتكون عونًا لكم ، فى فهم واستيعاب الموقف كله .. ستجدون عليها كل ما سجله مكوك الفضاء (ابن ماجد) ، وكل الأبحاث الخاصة بطريق النجوم ، ويوميات الغزو لحظة فلحظة ، وكل بيانات أخرى تتعلق بالأمر .

سألته (نشوى) فى ذعر :

ـ الغزو .. أى غزو ؟

تنهد ، قائلاً :

ـ سأخبركم بكل شىء .. كل شىء ..

قالها ، وازدرد لعابه مرة أخرى فى صعوبة ، وحاول أن يقاوم ذلك الإجهاد الشديد ، الذى يشعر به ، وهو يقص عليهم القصة كلها ..

منذ البداية ..

وبكل التفاصيل ..

* * *

اتسعت عينا الدكتور (جلال) عن آخرهما ، وهو يهز رأسه ، قائلاً فى ذهول :

ـ هل تصدق ما تسمعه يا (نور) ؟!

مط (نور) شفتيه ، وقال ، وهو يستمع إلى شبيهه ، الذى شارف الانتهاء من روايته :

ـ إنها قصة عجيبة للغاية ، ولكنها منطقية تمامًا .

ردد الدكتور (جلال) :

ـ الغزو .. والدمار .. والقضاء على كل صور الحياة .. أهذا هو المستقبل الذى ينتظرنا ؟

تمتم (نور) فى حزم :

ـ ليس بالضرورة .

ثم أشار إلى شاشة المراقبة ، وهو ينهض مستطردًا :

ـ لا تنس أنه يختلف .

سأله الدكتور (جلال) فى توتر :

ـ إلى أين ؟!

أجابه فى حسم ، وهو يتجه نحو باب حجرة العناية الخاصة :

ـ أعتقد أنه قد حان الوقت لألتقى بنفسى .. أليس كذلك ؟!

حبس الدكتور (جلال) أنفاسه ، من فرط الانفعال ، وهو يتمتم مبهورًا :

- مع نفسك .

وبينما ينطق عبارته ، فتح (نور) الباب ، ودلف إلى الحجرة فى هدوء ..

وكانت لحظة عجيبة بحق ..

كان الراقد قد انتهى من روايته ، وشرح مشاعره مع سقوط آلة الزمن ، ومصرع (سلوى) ، عندما تواجها وجهًا لوجه ..

فى البداية ، حدّق كل منهما فى وجه الآخر بشىء من الدهشة ، قبل أن يهتف الراقد :

- آه .. رباه ! كان ينبغى أن أتوقّع هذا .. إنك أنا ، فى حياتى الماضية .. رباه !

بدا (نور) هادئًا ، وهو يتطلّع إليه بضع لحظات ، قبل أن يقول :

- ولكن هذا يتعارض مع قواعد السفر عبر الزمن ، التى يعرفها كلانا جيدًا ، والتى يدهشنى أنها لم تخطر ببالك قط ، وأنت تضع خطتك .. المفترض أننا روح واحدة يا رجل ، ومن المستحيل أن تتواجد نسختان منها فى آن واحد .

بدت الدهشة على وجه الراقد ، وهو يقول :

- رباه ! هذا صحيح .

ثم استدرك فى دهشة أكبر :

- ولكن هذا ما حدث بالفعل .. هأنتذا تقف أمامى ، وهذا يعنى أن التواجد المزدوج أمر ممكن ، حتى ولو اعترض العلماء على إمكانية حدوثه .

نقل الجميع أبصارهم بين الرجلين فى صمت ودهشة ، فمط (نور) شفتيه لحظة ، قبل أن يسأل شبيهه :

- قل لى يا صديقى : ألم تنتبه إلى وجود بعض الاختلافات هنا ؟!

هزّ الراقد كتفيه ، وأجاب :

- كل شىء يبدو لى مختلفًا بعض الشىء .. حتى أنتم .. صحيح أنها نفس وجوهكم ، ولكن هناك اختلاف ما ، لا يمكننى تحديده بعد .

تنهّد (نور) ، قائلاً :

- بالضبط .. ربما لا تستطيع استيعابه ؛ لأن ذهنك ما زال مشوّشًا ، مع صدمة السقوط ، ولكننا انتبهنا إليه منذ اللحظة الأولى ، وكان واضحًا للغاية فى آلة الزمن ، التى أتت بك إلى هنا .. وربما كان هذا الاختلاف

هو السبب الرئيسى فيما أصابها من خلل ، أدى إلى سقوطها .

بدا التوتر على الرائد ، وهو يتساءل :

ـ وما هذا الاختلاف بالضبط ؟!

جذب (نور) لوحة إرشادية ، معلقة على طرف الفراش ، وهو يجيب :

ـ ربما يمكنك استيعابه أكثر ، عندما تقرأ هذه .

قالها ، وأدار اللوحة ، بحيث تواجه شبيهه مباشرة ..

ولثانية أو ثانيتين ، خُيِّل للرائد أن ذهنه المشوش يمنعه من استيعاب الأمر ..

ثم فجأة ، انتبه إلى ما يعنيه (نور) ..

وأدرك سر الاختلاف ، الذى يشعر به ..

فالكلمات المكتوبة أمامه ، على اللوحة الإرشادية ، لم تكن على النحو الذى اعتاده أبدًا ..

لقد كانت معكوسة ..

معكوسة ، كما لو أنه ينظر إليها عبر مرآة ..

وبسرعة ، انتقل بصره إلى وجوه أفراد الفريق ..

وإلى كل ما يحيط به ..

وفهم أكثر وأكثر ..

كل شىء من حوله معكوس ..

مقلوب ..

كل شىء يبدو كما لو أنه صورة مقلوبة فى مرآة عادية ..

كل شىء ..

وبأنفاس مبهورة ، حدّق فى وجه (نور) ، متمتمًا :

ـ هل تعلم ما يعنيه هذا ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم :

ـ نعم .. كلانا أدركه فى اللحظة نفسها بالتأكيد .

ثم شدّ قامته ، مضيفًا :

ـ إنك يا صديقى لا تنتمى إلى زمن آخر فحسب ، ولكن إلى عالم آخر .. عالم يختلف عن عالمنا تمامًا ..

وكانت مفاجأة مذهلة ..

للغاية .

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى والأخير

(الزمن الآخر)

طريق النجوم

- ما سر ذلك الاحتلال الفضائي ، الذي سيطر على الأرض مرة أخرى ؟!
- أي هول هذا ، الذي أدى إلى مصرع كل أفراد فريق (نور) ؟!
- ترى أية مفاجأة تلك ، التي تنتظركم جميعاً ، في (طريق النجوم) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..

العدد القادم : الزمن الآخر

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

127

م

الثمن في مصر ٢٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

مطابع العالم العربية